القسم الثاني

مبادئ خلق الكائنات

والتصورات المترتبة عليها

الباب الأول

↕

مبادئ الخلق

فصل تمهيدي

أولا: نتائج التفكير المنطقي

دعانا الله سبحانه وتعالى إلى التدبر في آياته، وإعمال الفكر فيها لِيَخْرُجَ النورُ، ويهتدي بهذا النورِ مَنْ يُؤمن، فلا يَضلُّ طريقه الطويل والمحفوف بالمهالك، فيصل إلى الغاية السامية، ويفوز الفوز الكبير، ويخلد في النعيم المقيم.

ودارس القرآن يجد فيه دعوة إلى التفكر في الخلق عامةً[١]، وفي الأكوان[٢] والنفس خاصة، لأن في دراسة الأكوان والتفكر فيها تقريبٌ للشعور إلى الواقع، وفيها الإحساس الصادق بالوضع الحقيقي للإنسان في الكون من حيث المكان والزمان، وهذا الإحساس يجعل الإنسان أكثر التصاقا بالقوة القاهرة التي فجَّرَت هذا الخلق وأبدعتْهُ وزينتْهُ، ويجعله أيضا يصل إلى نتيجة هامة وهي **إذا كان هذا هو الخلق البديع الذي ليس فيه تفاوت، وهو المتقن من كل الوجوه، فهل يُعقل أن يَفْنَى هذا الخلق مطويا على مظالم معلقة؟ وهل يموت المظلوم ويموت معه الحق؟ والواقع أن عمق النظر في خلق الكون والنفس يجيب بأنه لا يُعقل أن يكون هذا قد خُلق باطلا، ولابد من إقامة العدل المطلق.**

وفي التفكر ونتيجتُه الحتمية بوجوبِ وجودِ حياةٍ أخرى يُقامُ فيها العدلُ المطلق، يقول سبحانه وتعالى:-

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ{١٩٠} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ{١٩١}"

آل عمران٣

---

[١] مثل خلق الأنفس والملائكة والأحياء من كل الكائنات.

[٢] هي السماوات في لغة القرآن وهي عوالم متعددة متداخلة لطيفة، كما سترى فيما يلي.

وأمام هذه الحقيقة التي يستنتجها الإنسان بفكره الحر، ينشرح صدرُ كلِّ مؤمنٍ بها، في كلِّ الظُرُوف، مهما قَسَتْ هذه الظروف، حتى الموت، فهذه الحياةُ عندهُ قليلةٌ بالمقارنة بالحياةِ الدائمة، التي يُؤمِن بها وينتظرها، ونفسه تقول له **أن كلَّ ذا قيمةٍ محدودةٍ لا يساوي شيئا، بالمقارنة بالقيمة اللانهائية.**

ونخرج من هذا بأن **التفكر في خلق الأكوان يجعل الإنسان أكثر استفادة من بيئته، وأكثر حفاظا عليها ويجعله أكثر علما بحقوقه وحقوق الآخرين، ولا يكون عدوا لما يؤمن به وهو لا يشعر، ولا يفسد ويظن أنه يصلح.**

وفي الذين يظنون أنهم يصلحون، وهم في الواقع يفسدون ولكن لا يشعرون، يقول الله الحكيم العليم:-

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ{ ١١ } أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ{ ١٢ }" البقرة٢

"قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا{ ١٠٣ } الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا{ ١٠٤ }" الكهف١٨

ويقول الله جل وعلا شأنه في تدبر القرآن وذم عدم التدبر، حيث أن التدبر هو النظر والتفكر في الشيء:-

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا{ ٢٤ }" محمد٤٧

وأيضا يقول الله الحكيم مبينا عدم وجود أدنى اختلاف في آياته، نافيا ذلك عما يأتي من عند غير الله:-

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ{ ١ }" هود١١

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾" النساء٤

هذا والفكر السليم المستقيم فطرة، والكتب المنزلة من الله سبحانه وتعالى تذكر بدين [**الفطرة**]، **والفطرة هي الصفات والقوانين الطبيعية للجسم و[النفس]، والتي تكفل سلوكًا يُحقِّق رغبات الفرد والجماعة دون الإخلال بالمجتمع أو البيئة أو حرية ومصالح الآخرين.**

فالجسم **على فطرته** التي فطره الله عليها ما لم تَمْسَسْهُ يدٌ بالتغيير في خلقه سواء بالقطع أو الجرح أو الوشم أو الحرق، **والنفس على فطرتها** ما لم تفسد بالاعتداء من الغير، أو على الغير، بالنفاقِ والكذب والخديعة والوقيعة والدسيسة والطمع في مالِهم والخوضِ في أعراضهم وسمعتِهم.

وكما قلت سابقا أن من السمات الفطرية للنفس القدرة على التفكير المنطقي المترابط الذي يوصل إلى غاية، فالتاجر ينجح في تجارته بفضل التفكير المنطقي السليم، والصانع يُخرج صنعته بفضل فكره المنطقي الصحيح، والعامل الماهر يخطط بفكره المستقيم لِيُبْدِعَ في مهارةٍ ويُخرج عملا باهرا، والطبيب فنانٌ عالمٌ بنوع من العلوم يخطط بعلمه ليهزم مرضا أو يُجَمِّلَ وجها تشوَّه مستندا إلى مقاييس الجمال والتناسق بالتصور الفطري أيضا، وكل الناس كلٌّ في مجال عمله لا ينجح في أداء عمله إلا بفضل استقامة الفكر، ومع ظاهرة النجاح هذه يتأكد لدينا أن الفكر السليم هو الصفة السائدة في الإنسان، وأيضا من النجاح نتأكد من أن الفكر غالبا ينجح ما لم يشوش بالأهواء.

والفكر المستقيم الفطري لا ينحرف إلا إراديا عندما يريد الإنسان أن يعتدي، فيَخرجُ بفكره عن استقامته ليُبَرِّرَ لنفسه الاعتداء.

أما إذا استمر على استقامة فكره فإنه يبلغ به العُلَى في حياته الدنيا، ويتخطى به المنية إلى حياةٍ أبديةٍ سعيدةٍ في الدار الآخرة.

ألم تر كيف فكر إبراهيمُ له الشكر والثناء ووصل بفكره إلى الحق، وإلى تَصَوُّرِ السماوات والأرض بفطرته، واستطاع بفكر صائب أن يرد على قومه عندما حاجوه بفكرهم الأعوج، إنه مثلٌ رائعٌ وبارزٌ لنموذج الفكر المستقيمِ في الفطرة.

إذ تدرج فكر إبراهيم له الشكر والثناء، عن الإله والخلق، منطلقا من مبدأ عدم وجود نقص أو عيب في الإله، ومبدأ عدم الغياب عن مخلوقاته، ولكن إبراهيم له الشكر والثناء لم يكن قد أدرك أن الخالق لطيف بعد، بمعنى أنه لا يمكن إدراكه بالبصر.

فرفض الأصغر عندما برز الأكبر، ورفض الأكبر عندما لاحظ غيابه، وعندها فطن إلى أن الإله ليس بالضرورة أن تراه العين، فأكبر المخلوقات وهي الشمس قد غابت. عودة إلى ذاكرة الفطرة

وعندما حاجه قومه بعد ذلك قال لهم من أحق بالأمن، أنا الذي يعبد إلها واحدا خالقا وهاديا أم الذين يعبدون ما لا ضرر ولا نفع له ويشركونه بالله بدون علم؟!.

يقول الله عز وجل:-

"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ{٧٤} وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ{٧٥} فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ{٧٦} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ{٧٧} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ{٧٨} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ{٧٩} وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ{٨٠} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ{٨١} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ{٨٢} وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ{٨٣}" الأنعام٦ عودة إلى نقطة التفرع

والفكر إذا انحرف فهو خطِرٌ على صاحبه فقط ما لم يخرج إلى دائرة الإعلان، فإن خرج إلى دائرة الإعلان فالخطر ينحصر في الاستجابة له من الآخرين، فإنْ لم يستجيبوا له فلا ضير، والناسُ أصناف أمام قابلية الاستجابة للفكر المنحرف، فمنهم [**جهلاء**][1]، يعتقدون اعتقادات فاسدة، غيرَ واقعية، وهؤلاء أعدُّوا أنفسَهم لمعاداة [**الحق**]، يستجيبون بسهولة لكل فكرٍ معادٍ للحق، ويلهثون في محاربةِ كل فكرٍ مستقيم. عودة إلى نقطة التفرع

ومنهم من لا يعلمون، خواء من العقائد سواء الفاسدة أو الصحيحة، وهم متعطشون لأي فكر في الغالب، ويستهويهم سماع الجديد، فإنْ صادَفَهُم الفكرُ الصحيحُ وقع في أنفسِهم موقعَ [**الفطرة**] السليمة، ورسخ، وصاروا من خيرة الناس وأقواهم، وهم مستعدون دائما للدفاع عن عقائدهم بأنفسهم، وإن صادفهم الفكرُ المنحرف؛ إما صدوا عنه ورفضوه بحكم تعارضه مع [**الفطرة**] في داخلهم؛ وإما قبلوه قبولا سطحيا وعاشوا به عيشة الضلال، فتجدُهم في ظلم دائمٍ لأنفسهم ولفئات منهم، ربما هذه الفئات من أبنائهم أو بناتهم أو أزواجهم، كمن يؤمنون بضرورة وأد البنات أو الختان أو كي منابت الأنياب أو الوشم أو تحريم ما أحل الله أو إباحة ما حرم الله. عودة إلى نقطة التفرع

وهذه الجماعة الأخيرة لا ينقطع الأملُ في هدايتهم؛ عند النداء عليهم؛ حتى ولو تأخرت عودتُهم.

أما الفئة الأولى الجاهلة فيصعب هدايتهم؛ إن لم تكن مستحيلة، لأنهم قد طمسوا فطرتهم، وأزاحوا عليها ركاما من سوء العمل، فأصبح صوت النداء الفطري الداخلي غيرَ مسموعٍ، بعكس الفئات الأخرى يسهل عليهم سماع النداء الفطري الداخلي عندما يتناغم مع **النداء الخارجي عن طريق الرسل**، فتجدهم ساجدين، يقولون لبيك ربنا لبيك. عودة إلى نقطة التفرع

ألم يقل الله سبحانه وتعالى في وصفِ النورَيْن، نور الفطرة ونور الرسالات:-

"اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا

[1] الجاهل هو الذي يعتقد اعتقادات فاسدة غير حقيقية، إذ قال الله سبحانه وتعالى: " .. يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ.." ٢٧٣ البقرة٢

غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۖ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ{٣٥}" النور٢٤

وفي هذه الآية مثَّل الله سبحانه وتعالى الإنسانَ بالمصباح في زجاجة، والدولةَ بالمشكاةِ[1] الحاويةِ له والحاميةِ إياه من العوامل الخارجية.

والفرد الذي خلقه الله بفطرة سليمة ثم اتبع فطرته، ثم جاءه كتاب الله فصدقَّه، وهو محمي في ظل دولة قوية تمنع عنه ذل الأعداء، وتخفف عنه نوازل الزمن من فقر أو مرض، أو أي كوارث، هذا الفرد يعطي نتاج فكرٍ وعملٍ عظيمين، وتسمو به دولته وترتقي، ويلتقي نور [الفطرة] مع نور [الكتاب] الذي لا ينحاز لشرق أو لغرب، مشكلا نور الله الذي يهدي لنوره من يشاء.

وقال سبحانه وتعالى مبيِّنًا طمس القلب تحت ركام سوء العمل، فلا يرى الحقائق ويكذبها عمدا وتعديا، حيث كان من الواجب رؤيتها والعمل بمقتضاها:-

"كِتَابٌ مَرْقُومٌ{٩} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ{١٠} الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ{١١} وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ{١٢} إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ{١٣} كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ{١٤}" المطففين٨٣

وفي سورة القيامة إشارة إلى [النفس اللوامة] أي **الضمير** كمصطلح دارج، وهذه **النفس اللوامة** لديها معايير للمقارنة ثم التنبيه عند حدوث انحراف (انظر تعريف النفس البشرية في التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم):-

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ{١} وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ{٢}" القيامة٧٥

[1] فجوة في مكان لوضع المصباح لحمايته.

ومن أخطر الأفكار فكر المتمسحين في الدين، إذ يتمتعون بثقة الناس فيهم، فيتبعهم الناس، ويكون المصير المحتوم للتابع والمتبوع حياة أبديَّة شقيَّة، يحاول فيها التابع أن ينتقم من المتبوع بطلب المزيد من الشقاء له، ويحاول المتبوع أن يتبرأ من التابع، ويكون هذا مصير كل من لا يتبع فكرَ نفسِه الفطري السليم، والذي يُسَلِّمُ زمامَ أمورِه لغيره دون مراجعة.

وفي هذا يقال حديثٌ عن الرسول له الشكر والثناء (بروايات متشابهة):-

"يا وابصة! جئتَ تسأل عن البر والإثم؟، قلتُ: نعم، قال: فجمع أصابعه، فضرب بها صدره وقال: **اسْتَفْتِ** نفسَك، **واستفت قلبك** -ثلاثا-؛ **البرُّ ما اطمأنت إليه النفسُ، واطمأن إليه القلبُ، والإثمُ ما حاك في النفسِ، وتردد في الصدرِ، وإن أفتاك الناسُ**".

---- الراوي: وابصة بن معبد الأسدي المحدث: الألباني – المصدر: تخريج مشكاة المصابيح – الصفحة أو الرقم: ٢٧٠٥
خلاصة حكم المحدث: [فيه] ابن مكرز وهو مجهول، وفي المسند بإسناد صحيح على شرط مسلم دون قوله: "استفت نفسك...ثلاثا"، وله شاهد دون الزيادة وسنده صحيح

---- الراوي: وابصة بن معبد المحدث: ابن حجر العسقلاني – المصدر: تخريج مشكاة المصابيح – الصفحة أو الرقم: ١٣٥/٣
خلاصة حكم المحدث: [حسن كما قال في المقدمة]

---- الراوي: وابصة بن معبد المحدث: الرباعي – المصدر: فتح الغفار – الصفحة أو الرقم: ٣/١١٤٩
خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن

---- الراوي: وابصة بن معبد الأسدي المحدث: النووي – المصدر: بستان العارفين – الصفحة أو الرقم: ٣٩
خلاصة حكم المحدث: حسن

---- الراوي: وابصة بن معبد الأسدي المحدث: النووي – المصدر: تحقيق رياض الصالحين – الصفحة أو الرقم: ٢٥٤
خلاصة حكم المحدث: حسن

---- الراوي: وابصة بن معبد المحدث: المنذري – المصدر: الترغيب والترهيب – الصفحة أو الرقم: ٢٣/٣
خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن

---- الراوي: وابصة بن معبد المحدث: أحمد شاكر – المصدر: عمدة التفسير – الصفحة أو الرقم: ٣٣٢/١
خلاصة حكم المحدث: [أشار في المقدمة إلى صحته]

إنَّ الاتِّباع الأعمى عادةُ أكثر الناس، ومن هنا كان خطرُ القِلَّة المتبوعةِ كبيرًا، إذْ يَسِيرُ خلفهم غالبية الناس العظمى، وتجدُهم يرمُقُون القلة المخالفة لهم في غيظٍ وغضبٍ وكثيرًا ما يعتدون عليهم بالقتل والتشريد.

والنتيجة ظهور الفساد الذي يشمل البيئة والأفراد، ثم الضعف والتفكك والانهيار.

وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى:-

"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ{١٦٥} إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ{١٦٦} وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ{١٦٧}"
البقرة٢

وقال تعالى في نتائج الاتباع الأعمى، الذي يورد أهله دار البوار:-

"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ{٩٦} إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ{٩٧} يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ{٩٨} وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ{٩٩}" هود١١

وفي اتباع أكثر الناس بالتقليد لغيرهم من الكفار:-

"تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ{٨٠}" المائدة٥

وفي الأغلبية غير المؤمنة:-

"وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ{١٠٣}" يوسف١٢

وفي الذين يعجبون الناس ومنهم من ليس على صواب:-

"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ{٢٠٤} وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ{٢٠٥}" البقرة٢

وفي الذين يعادون أصحاب الحق:-

"إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ{٢١}" آل عمران٣

ملخص ما سبق أن الفطرة بها جملة من القواعد الهادية للسلوك البشري الطبيعي، إلى مجتمع راق، يتمتع بأقصى درجات الحرية، وبأقل قدر من القيود، ويتمتع أفراده ببيئة نظيفة جميلة وبسعادة مستقرة دائمة حتى بعد الموت.

ومثال على هذا السلوك البشري الطبيعي هو حب التملك، فإذا امتلك إنسان حديقةً ونازعه عليها آخرون، فدور [**الفطرة**] هنا هو وخز الضمير الذي يصيب غير صاحب الحق، إذ يشعر هذا بأنه لا حق له في منازعة صاحب [**الحق**]، لأنه لو كان هو صاحب [**الحق**] ما قبِل أن ينازعه أحد على حقه، ومن هنا فالقاعدة الهادية للسلوك هي اعتراف داخلي بأن لكل فرد نفس الرغبة في التملك، وهذا يدفع الفرد في المثال السابق إلى طريق يشعر معه بأن الطرف الآخر راض به، كعرض شراء مثلا، بدلا من الاغتصاب.

وبنفس الطريقة حب الذكر للأنثى وكراهيته الشديدة أن يشاركه فيها غيره، ففي مقابل هذه الرغبة شعور بأن الكل يحمل نفس الصفة، مما يجعل هذا الشعور كابتا ذاتيا تجاه نساء الآخرين. وقس على ذلك مختلف أنواع السلوك البشري، فلو أن مجتمعا ما أتاح الفرصة للعمل طبقا للقواعد الفطرية ويحَكِّمُها في السلوك الإنساني لَنَشَأَ مجتمع عظيم على [**دين**] [**الفطرة**].

وإنما أنزل الله كافة الأديان تذكرة للإنسان الذي يتجاهل قواعد الفطرة أمام ما يرثه من مأثورات مضَلِّلة وانحرافات وشذوذ، فإذا تجاهل دين الله المنزل أيضا فقد أجرم مرتين، الأولى بتجاهله دين الفطرة، والثانية بتجاهله دين التذكرة.

انظر إلى هذه الآيات من الكتاب المقدس لترى إشارة واضحة جدا لدين الفطرة:-

بسْمِ الرَّبِّ "(١١)إِنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ الَّتِي أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ لَيْسَتْ عَسِرَةً عَلَيْكَ وَلَا بَعِيدَةً مِنْكَ. (١٢)لَيْسَتْ هِيَ فِي السَّمَاءِ حَتَّى تَقُولَ مَنْ يَصْعَدُ لِأَجْلِنَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَأْخُذُهَا لَنَا وَيُسْمِعُنَا إِيَّاهَا لِنَعْمَلَ بِهَا. (١٣)وَلَا هِيَ عَبْرَ الْبَحْرِ حَتَّى تَقُولَ مَنْ يَعْبُرُ لِأَجْلِنَا الْبَحْرَ وَيَأْخُذُهَا لَنَا وَيُسْمِعُنَا إِيَّاهَا لِنَعْمَلَ بِهَا. (١٤)بَلْ الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ جِدًّا فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ لِتَعْمَلَ بِهَا."

سفر **تثنية** الإصحاح **الثلاثون**

ثانيا: التوافقُ الخَلْقِي بينَ البيئةِ والأَحْيَاء

نعلم جميعا بالمشاهدة أن كل كائن حي لابد له من عدة عوامل ليظل على قيد [**الحياة**]، ومن هذه العوامل الماءُ اللازم لممارسة عملياته الحيوية، والموطنُ الذي يؤويه والغذاء الذي يمده بالطاقة اللازمة لنشاطه وبناء جسمه.

وهذه العوامل موجودةٌ في البيئة المحيطة بالكائنِ الحي، ولكلِّ نوعٍ من الكائناتِ الحية عواملُ بيئية تناسبها ولا تناسب غيرَها، وعلى سبيلِ المثال نجدُ أن مسكنَ الذئابِ لا يصلح أن يكونَ مسكنا للطيور ولا مسكن الطيور يصلحُ كمسكنٍ للإنسان، وكذلك الغذاء فلكلِّ نوعٍ غذاؤُه الذي يناسبه ويمكن ألا يناسبَ غيرَه من الأنواعِ الأخرى.

ومع أن أنواعَ الكائناتِ الحيةِ كثيرةٌ إلا أن البيئةَ تكفي الجميعَ في تناسقٍ ونظامٍ مدهشين، وخاصة عندما نعلم أن هذا التناسقَ مستمر منذ بدءِ خلقِ الحياةِ على الأرضِ.

هذا التناغمُ أو التناسق بين صفاتِ وخصائص الكائناتِ وبين البيئةِ يثيرُ سؤالا شديدَ الأهميةِ لموضوعِ هذا البحث، وهذا السؤال هو ...

أي الطرفين خُلقَ ليتناغم أو يتناسق مع الآخر الذي يسبقه في الخلق ... الكائن الحي أم البيئة؟

أو بمعنى آخر أي الطرفين سبق الآخر في الخلق ثم جاء هذا الأخير بعده ليتناسق معه؟

مع العلم بأن الإجابة مهمة في فهم مقصد كل التطوريين حتى <داروين>.. وكذلك مقصد رافضي التطور.

وأمامنا احتمالان:-

الاحتمال الأول:-

إذا قُلنا بأن الكائن الحي خُلق ليتناغمَ مع البيئة، فهذا معناه أن **البيئةَ قد سبقت في الخلقِ، وجاء الكائنُ الحيُّ بعدها في الخلقِ متطورًا بناءً على تَغَيُّرَاتِ البيئةِ ومتمشيا مع تعددِ الأحوالِ فيها،** كما يقوم الفلاح بشقِّ القنوات بنظامٍ يريدُه في أرضِه، ثم إذا صبَّ الماءَ على رأسِ أعلى قناةٍ، جرَى الماءُ وتشكَّلَ مسارُه بناءً على ما تمَّ رسمُه من تعرُّجاتِ القنواتِ سابقًا، فالماء يمثِّلُ **الكائنَ الحي**، والقنوات تمثلُ **البيئةَ**، ومن هذا التصور ظهرت **نظرياتُ التطور** عند التطوريين حتى **<داروين>** ومنهم **<إخوان الصفا>**.

تقول نظرية النشوء والارتقاء بأن الحياةَ قد بدأت من خليةٍ واحدةٍ حية، ثم تطورت تجاهَ التعددِ والتخصص.

وتقول نظرية التطور بأن العضوَ المستعملَ في الكائنِ الحي ينمو ويقوى، والعضوَ المهملَ يضمرُ ويختفي.

وقد لاقت هذه النظريات هجوما عنيفا من المفكرين الدينيين من اليهود والمسيحيين والمسلمين على اختلاف مناهجهم.

فهذا الشيخ **<محمود شلتوت>** في كتابه (**الفتاوى** ط١٢ ص٤٠١ وما بعدها) يقول **بأن القرآن يحدِّثُ بأن الإنسان خُلق نوعا مستقلا وليس متطورا عن نوعٍ آخر من الأنواع**، ولم يذكر الآيات التي حدَّثت بذلك **صراحةً**.

وهذا الدكتور **<مصطفى محمود>** في كتابه (**لغز الحياة**) يقول **بأن نظريةَ <داروين> لاشك هي ثوب نظري جميل، ومليء بالخروق وأنه لا يجب النظر إليها على أنها علم ولكن نعتبرها نظرية أو احتمالا أو فرضا هو أرجح الفروض الموجودة**، وكان وجه اعتراض الدكتور **<مصطفى محمود>** من زاويتين، الأولى **أن النظرية أهملت ذكر أي تدخل من خارج الكائن الحي، مثل كيفية اهتداء الكائن الحي إلى أداء وظائفه وكيفية خروجه إلى الوجود في صورة جميلة رائعة،**

والزاوية الثانية هي وجود حلقة مفقودة بين القرود العليا والإنسان؛ بافتراض أن <داروين> **قال بأن القردة العليا هي أصل الإنسان، في حين أن** <داروين> **قال بأن الإنسان والقردة العليا لهم أصل واحد أو ربما غير رأيه في الطبعات الأحدث من كتابه** (أصل الأنواع).

وعلينا أن نقر بالمجهود الكبير الذي بذله **<داروين>** وأنه لا يكذب في مشاهداته حيث أنه طاف حول كثير من بقاع الأرض، ولم يتكلم إلا وهو وسط المحيطات والغابات، يبحث ويدرس ويضع نتائج أبحاثه، راجع أصل الأنواع لـ**<داروين>**.

ومن الواضحِ أن <داروين> **قد افترضَ أنَّ البيئةَ سابقةٌ في الخلقِ للكائناتِ الحية وتتطور هذه الكائنات طبقًا لما تمليه عليها ظروفُ وأحوالُ البيئة ولم يدرك غير هذا الاحتمال، حيث قال في نظرية التطور بأنَّ العضوَ المستعملَ يبقى ويقوى، والعضوَ المُهْمَلَ يضمرُ ويختفي.**

ولما كانت مشاهداتُ **<داروين>** واقعٌ لا مراء فيه، فيجبُ أن يعادَ تفسيرُ هذه المشاهداتِ دون تكذيبٍ لها على ضوءِ الهدى الإلهي وهذا جزءٌ من هذا البحث.

والاحتمال الثاني:-

إذا قلنا بأن البيئةَ قد خُلقت لتتناغم أو تتناسق مع الكائنِ الحيِّ، فهذا معناه أن **الكائنَ الحيِّ قد خُلق قبلَ البيئةِ، وتشكَّلت البيئةُ على مواصفاتِ الكائنِ الحي السابقِ لها في الخلقِ**، كالمدرسة التي تنشأ، ويوضع فيها المقاعدُ والسبوراتُ والمعاملُ والمكاتبُ والورشُ، ثم يدخلُها المدرسون والطلابُ، فيجدُ كلُّ واحدٍ منهم أنها صُمِّمَت من أجلِ خدمتِه، وعلى راحتِه وللهدفِ الذي دخلَ المدرسةَ من أجلِه، وأن المقاعدَ إنما صُمِّمَت متناسبةً تماما مع طبيعةِ جسمِهِ ووظيفتِه، فالطلاب يمثلون الكائن الحي، والمدرسة وما فيها تمثل البيئة.

وهذا الاحتمال على غرابته قد أكده القرآنُ كمبدأٍ من مبادئ الخلقِ، وعدم العلم بهذا المبدأ هو الذي جعل المفكرين الدينيين ينكرون بكل شدة نظريات <**داروين**>، وهو من المواضيعِ الرئيسية في هذا البحثِ، وسوف تقرأُ تفصيلاتِ هذا في الفصولِ القادمةِ مع مراعاةِ أن الخلقَ في لسان القرآنِ نوعان، هما:-

خلق التصميم و خلق التنفيذ.

وهذا التعريف غاب عن المفكرين الدينيين من قبل، وعلى هذا وإن صح تحليلي القادم لآيات القرآن في هذا المجال، فإن نظرية <**داروين**> الأولى صحيحة جزئيا فهي تفسر جانبا من سلسلة الخلق، حيث قال بأن الحياة بدأت من خلية أولية حية، وهذا الجانب على ضيق حيزه صحيح، لأن الحديث عن الخلق يشمل التصميم منذ البداية التي لم يدركها <داروين> ويشمل أيضا التنفيذ وله مراحل كبيرة جدا ولها عمق كبير في الزمن قبل ظهور أول خلية حية، أما النظرية الثانية فقد جانبها الصواب تماما، حيث أعلن الله أن [**الخلق**] بدأ بالإنسان ومقومات وجوده تصميميا، ثم استوى إلى السماء وأنشأها تنفيذيا كما بيَّن، والظاهر لـ<داروين> وللعلماء أن نماء وضمور الأعضاء طبقا للاستعمال أو الإهمال لا يمكن قبولها أمام بعض المظاهر، مثل حياة المشاركة بين أكثر من كائن بملاءمة تثير العجب، وكذلك وقوف تطور الكائنات عند نقاطٍ أو أُطرٍ محدِّدةٍ للأنواع أو الأجناس، ولو كانت النظرية صحيحة لكانت أشكال الحياة بلا نهاية، ولن تجد حدودا بين أشكال وصفات الأنواع والأجناس.

ثالثا: الهدفُ من الخَلْقِ وخَلْقُ التَّصْمِيم

كلنا نعلمُ أن لكلِّ صنعةٍ صانعا، وأن كلَّ صانعٍ لا يصنعُ شيئا إلا إذا كان من وراءِ صنعتِه هدفٌ، وعندما يمارسُ العملَ يُحكِمُه بمبادئ، فهل ينطبق هذا على المخلوقات الطبيعية أيضا كما هو الحال في الأعمال البشرية؟ ليكون هناك مبادئ وضعها الخالق للمخلوقات لتنشأ وفقها بلا حيود؟

كلمةُ [**العبادةِ**] هي التي أطلقها الله على الهدفِ من الخلقِ، فما معنى **العبادة؟**

إن لهذه الكلمة عدة معانٍ، أشملها مفهوما [**الطاعةُ**] **المطلقةُ للهِ**، أي بدون مراجعة، وليس معنى الطاعة المطلقة لله أن يكفَّ الإنسانُ عن البحثِ وطلبِ العلمِ، ولكن المقصود أن تبحثَ وإنْ لم تصلْ بعلمك إلى سببِ الأمرِ المطلوب تنفيذه فعليك تنفيذه دون علم بالسبب، ولا تدع اختفاء أو غموض أو ظهور السبب، أن يكون حجةً لك تعتمد عليها في عدم تنفيذ الأمر الإلهي.

قال الله سبحانه وتعالى:-

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ{٥٦}" الذاريات ٥١

ولذلك خلق اللهُ الإنسانَ وخلق مخلوقاتٍ أخرى مسخرةً له، والكلُّ خُلقَ [**لعبادة**] الله، ولكي تتواجد هذه المخلوقات ومنها الإنسان، فلابد من إنشاءِ مقوماتِ الحياةِ لها، وهي البيئة المناسبة لكل منها، فالإنسان يحتاج إلى مأوى يحميه ويلجأ إليه للراحة، ويحتاج إلى غذاءٍ وماء وكساء من نفسِ البيئة[١]، فصُمِّمَت البيئة محتوية على مسكنه من الأحجارِ والطوبِ المصنوعِ من الطين والخشب والحديد وكل الخامات المكونة للمساكن كما نرى، وصُمِّمَ له في البيئة أيضا مطعمُه من النبات والحيوان، فيأكل ثمار النباتِ، ويشرب ألبان الحيوان، ويأكل من لحومها ما يشتهي ويلبس من أوبارها، وجُعِل له الماءُ للشرب ولري نباتاته وسقاية حيواناته وللتطهر.

كل هذا تصميمٌ مُسْبَق قبل إيجادِ الخلقِ في الواقعِ التنفيذي.

وسجَّل الله القديرُ هذا التصميمَ في سجلٍّ عام أيضا قبل بدء التنفيذ.

---

[١] "إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ{١١٨} وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ{١١٩}" طه ٢٠

ثم وضع الله سبحانه وتعالى المبادئَ الحاكمةَ لكيفية التنفيذِ.

ويقول الله سبحانه وتعالى في ذلك في سورة البقرة:-

"هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ{٢٩}" البقرة٢

وفي الكتاب المقدس في العهد القديم سفر التكوين الإصحاح الأول:-

مثال الآيات من ٩ : ١٣ "(٩)وقَالَ اللهُ لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ، وَكَانَ كَذَلِكَ (١٠)وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا، وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ (١١)وَقَالَ اللهُ لِتُنْبِتِ الْأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزِرُ بَزْرًا وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ بَزْرُهُ فِيهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ كَذَلِكَ (١٢)فَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزِرُ بَزْرًا كَجِنْسِهِ وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بَزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ، وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ (١٣)وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا".

نلاحظ أولا:-

أن التعبير "وقَالَ اللهُ" يأتي بعده خلق التصميم، حيث يأتي خلق التنفيذ بعد التعبير "وَكَانَ كَذَلِكَ" أو بعد الفاء مثل "فَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزِرُ بَزْرًا كَجِنْسِهِ..".

والملاحظة الثانية أن الخلق سواء كان تصميما أو تنفيذا هو خلق مرحلي ويتضح ذلك من التعبير المتكرر "وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا..".

وفي التعبير القرآني ما قبل كلمة "ثُمَّ" هو خلق التصميم وما بعدها هو خلق التنفيذ كما يلي:-

"أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ [السَّمَاءُ][١] ۚ بَنَاهَا{٢٧} رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا{٢٨} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا{٢٩} وَ[الْأَرْضَ][٢] بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا{٣٠}"

النازعات٧٩

ويبدو في هذه الآيات أن آخر المراحل العملية، مرحلة تشكيل الأرض، وقد سبقها خلق السماء عمليًّا، وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

[١] الكون بكل ما فيه من شموس وأراضٍ وأقمار، وبكل مراحل تشكيله.

[٢] كل كوكب قابل للسكنى من قبل أي كائن حي، انظر التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم.

◄رابعا:القُدْرَةُ الإلهيَّة والإرَادَة► ↥

القدرةُ المطلقةُ للخالق هي الصفة التي يدركها العقلاء عند النظر في كيفية الخلق، حيث يجدون الإتقانَ، والعلمَ، والخبرةَ، والجمالَ، والتوازنَ، وتوالي الخلقِ، والخلقَ من نهايةِ خلقٍ سابقٍ.

ولكي تؤدي القدرة عملا محددا؛ مثلا، في سماواتنا السبع يتم استحداثُ جملة من الأسبابِ حصيلتُها حدوثُ الفعلِ، هذه الأسبابُ هي [**الإرادةُ**].

ولكن هل لهذه [**الإرادةِ**] حدودٌ؟

ندع للقرآنِ الإجابةَ على هذا السؤالِ، فنجدُ الآيةَ الآتية تبين قدرةً على كلِّ شيء:-

"لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{ ١٢٠ }"
المائدة٥

علما بأن الإرادة لا تتعدى ما كتب الله على نفسه، وعلما بأن لله مستويات من الإرادة، منها مستوى الإرادة المشيئية[1]، ومستوى الإرادة التنفيذية، ومستوى الإرادة التشريعية ، ومستوى الإرادة البدائلية.

[1] الإرادة المشيئية هي إرادة غير محسوسة أي لطيفة، وتشمل كل الكائنات إنسان أو حيوان أو جماد أو ملائكة، والإرادة التنفيذية هي موجبات إيجاد الكائنات والأشياء سببيا أو لا سببيا، وكان الكائن مخيرا فيها منذ البداية فقط وهي السماء الأولية، والإرادة المشيئية والتنفيذية انضمتا معا عند بدء تنفيذ الخلق لسمائنا بعد الاختيار، في إرادة واحدة عليا سببية لطيفة. والإرادة التشريعية هي ما ورد في قواعد الفطرة أو الكتب المنزلة للإنسان وهو مخير فيها. والإرادة البدائلية خاصة بتخيير الأحياء، الإنسان ودون الإنسان، أما دون الأحياء والملائكة فلا خيار لهم، ويتصرفون دون حيد ولا تأخير طبقا لنواميس من وضع الله سبحانه وتعالى. انظر التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم حول تعبير الإرادة.

والآية الآتية تبين حدًّا قد وضعه الله لنفسه كمبدأ في التعامل مع مخلوقاته:-

"قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلْ لِلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ{ ١٢ }" الأنعام٦

وهذه الآية تحمل نفس المعنى:-

"وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ{ ٥٤ }" الأنعام٦

والآية التالية بها حدود أخرى هي الصدق والعدل:-

"وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ{ ١١٥ }" الأنعام٦

وخلاصةُ القولِ أنَّ اللهَ **حدَّدَ لإرادتِه مسارا في مُجمَلِ صِفاتِه** التي هي أسماؤُهُ الحسنى، وبأنَّ **[الإرادةَ]** لا تعملُ في ظلمٍ، واللهُ على ذلك قادرٌ، ولكن في العدلِ والرحمةِ والحلمِ والصدقِ، **ومن هنا [فالإرادةُ] الإلهيةُ لها حدودٌ، هي مجملُ صفاتِ اللهِ، قد وضعَها اللهُ لنفسِه، ولا تبديلَ لذلك.**

وعلى ذلك فعندما نقولُ بأن اللهَ قد وضعَ مبادئَ محددةً لبدءِ الخلقِ، فلا نكونُ قد أخطأنا، ولم نَتَعَدَّ بذلك على قدرةِ اللهِ المطلقة، ولأنه هو الذي وضع هذه المبادئَ لنفسِه، وفي حدودِ صفاتِه، التي لا يُحِدُّ صفةً منها إلا صفةٌ أخرى، فعندما نقول بأن الله جبار وقهار ومنتقمٌ، فلا يُحِدُّ هذه الصفاتِ إلا صفةُ العادل و الرحْمٰنِ والرحيم والحليم والغفور والغفار وهكذا.

ولا ينبغي لأحدٍ أن يتخيلَ إرادةً للهِ كمَا يحلو له، ويدَّعِي على اللهِ فعلا أو قولا لم يأْتِ به الله، فإن هذا **[شرك]**، والمبادئُ التي وضعَها اللهُ هي جزءٌ لا يتجزأُ من صفاتِ الخالقِ، البارئِ، المصورِ.

والمبادئُ التي وضعها اللهُ كما جاءت إشارات لها في الآياتِ من٩ إلى١٢ في سورة **فصلت** رقم٤١ ما يلي:-

"قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ{٩} وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ{١٠} ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ{١١} فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ{١٢}" فصلت٤١

١- التصميم الهادف المرحلي المدون السابق للخلق التنفيذي

٢- الخلق الدوري

٣- الخلق الحتمي

٤- الخلق السببي

٥- الخلق المتعدد التداخلي

٦- الخلق المرحلي

٧- الإدارة الذاتية

٨- الجمال والزينة

٩- الحفظ والتوازن الذاتي

الفصل الأول

المبدأُ الأوَّل

التَّصْمِيمُ الهادِفُ المَرْحَلِي المُدَوَّن السَّابقُ لِلْخَلْق التنفيذي

"قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ{٩} وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ{١٠}" فصلت ٤١

إن كل الأعمال التي يديرُها الناس تمر بمرحلةٍ سبقت تنفيذها، هذه المرحلة هي مرحلة التصميم، وهي مرحلةٌ لا يكون العمل فيها قد ظهر بالفعل للوجود ليؤدي الدور الذي صُمِّم من أجله، ولكن بدون هذا التصميم لن تجدَ عملا، فهذه المرحلة في أبسط صورها تكون في ذهن صاحب العمل، فمثلا عندما يريد شخص أن يصطاد السمك، فإنه يضع الخطة في ذهنه مسبقا، فتجده يجهز أدوات الصيد، ويحدد الوقت المناسب، ويصطحب معه من يحب، كل هذا قبل أن يبدأ في الصيد فعليا، كل هذا أيضا ولا تجد أنه قد سجل خطته إلا في ذاكرته، وهذا التخطيط جزء أولي في عملية التنفيذ، وبدونه لن يستطيع الصَّيَّادُ أن يُنَفِّذَ شيئا.

وفي الأعمالِ الأكبر من ذلك، كما في إنشاءِ المصانع والمدارس والشركات وغيرِها من المنشآت، يكون التصميمُ مدونا في سجلٍ خاص، وخرائط مرسومة ومنظمة ومجهزة بالتنسيق المناسب لمن يطلبُها، يرجع إليها كل أصحاب الشأن، أثناء الإنشاء أو بعده، في أعمال الصيانة، وغير ذلك.

يتم عملُ العديدِ من هذه الخرائطِ والسجلات، ويتم توزيعُها على العاملين في الإنشاء، ليتَّبِعَ كلٌّ منهم خطوات العمل طبقا لما هو مدون أمامه من تعليمات، وترى العمل يجري على يدِ جميعِ العاملين في وقتٍ واحد وتنسيق، ولا يقع أحدٌ في خطأِ قراءةِ تعليماتِ غيرِه، فلكل فئةٍ تعليماتٌ خاصة ينفذونها، ولا ينفذون غيرها، فالقائمون بالبناء لديهم خرائط وتعليمات تبين لهم أين تكون الحوائط والأبواب والشبابيك، والقائمون بأعمال الكهرباء لديهم نفس الخرائط ولكن التعليمات هنا تختلف

وتبين لهم أين مواضع اللأسلاك والمفاتيح والمقابس ومنابع القوى الكهربائية، ومع العاملين في السباكة نفس الخرائط مع تعليمات أخرى تبين لهم مواضع مواسير المياه والمجاري ومكان المطبخ والحمام والسخانات والخزانات، فتجد أن الجميع معهم نسخ متشابهة من خرائط وسجلات المنشأة، ولكن لكل منهم تعليمات مختلفة عن الآخرين، قام المهندس المصَمِّم بوضع هذه التعليمات بدقة، تضمن انسياب العمل بصورة دقيقة ومنظمة وبأقل تكلفة، وصولا إلى تمام الإنشاء ليؤدي دوره والغرض من إنشائه.

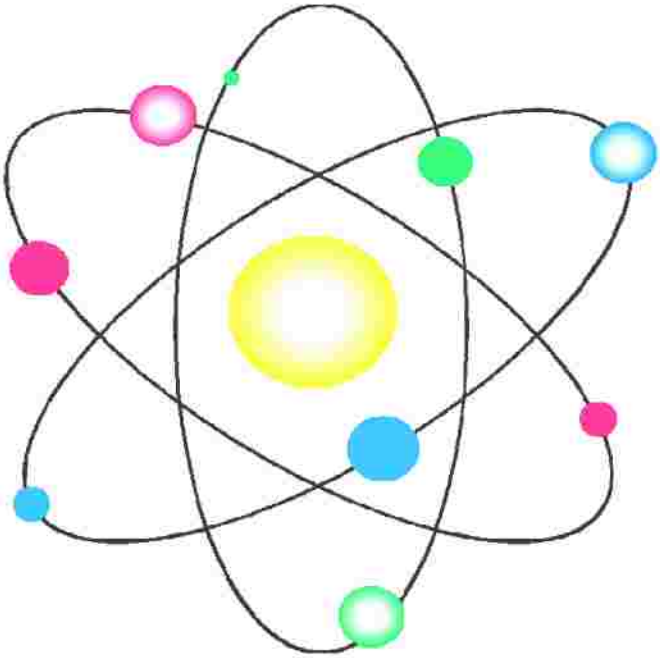

وكذلك فَعَل اللهُ، حيث أنشأ تصميما كاملا للخلق قبل بدء إيجاده، وهذا التصميم مدون في سجل عام، سماه الله سبحانه وتعالى [أم الكتاب]، وعند كل عملية خلق، تُنشأُ نسخٌ ميسرة من هذا السجل، تُوزع على جميع وحدات الوسط الذي سينشأ منه الخلق، وميسرة بمعنى أن الوسط هذا قادر على قراءة رموز التصميمات وتعليماتها وقادر على تنفيذ هذه التعليمات، وهذا النسخ الميسر يسمى [التنزيل][1]، حيث يتم التنزيل أيضا عند بدء خلق الحياة تنفيذيا في سجل آخر، حيث يتم نسخُ نسخٍ ميسرة أكثر، من كتاب الوسط السابق، إلى مادة الحياةِ، حتى يتيسر لهذه المادة قراءة تعليمات النمو، ومباشرة الوظائف الموكلة بها والتي سبق تدوينها، وهذا السجل الأخير أو **الجينوم** قد اكتشفه الإنسان

[1] لمزيد من التفصيل اقرأ "التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم"

في أوائل الخمسينات من القرن الماضي، وهو **الجينات الوراثية في الكائنات الحية** والموجودة داخل نواة كل خلية على هيئة كروموزومات مزدوجة.

والآيات الآتية تشير إلى هذه السجلات:-

"وَإِنَّهُ فِي [أُمِّ الْكِتَابِ] لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ{٤}" الزخرف٤٣

"يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِنْدَهُ [أُمُّ الْكِتَابِ]{٣٩}" الرعد١٣

وما سبق من آياتٍ أشارت إلى السجلِّ الأصلي العام والذي [**تنَزَّلَ**] منه القرآنُ على مراحلَ حتى وصلَ إلينا في صورةٍ رمزيةٍ سهلةِ القراءةِ باللسان العربي الفصيح، وكانت الكتبُ السابقة بنفس الطريقة، إلا أن الترجمة قد أفسدت نقاءَها، ولكن الأصلَ محفوظٌ، وكذلك تشيرُ الآية الثانية إلى ما تم تنزيله من تصميمات أخرى لتظهر ثم تختفي ليظهر غيرها، ومثلها مورثات الحياة وما يحدث فيها من تبديلٍ، وتغييرٍ، وإصلاحٍ ذاتي، وعجزٍ عن الإصلاحِ، وثباتٍ، راجع في ذلك "**علوم الوراثة**"[١].

والآياتُ الآتيةُ تبينُ أن كافةَ التفصيلاتِ الدقيقةِ، التي تواجهُ الإنسانَ، إنما هي قد سبقَ تسجيلُها قبلَ حدوثِها، وأن هذا القولَ قد قاله الله تعالى لكي لا يشتدُّ بنا الحزنُ على ما فاتَ ولا نفرحُ بما هوَ آتٍ:-

"مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ{٢٢} لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ{٢٣}" الحديد٥٧

"هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ{٢٩}" البقرة٢

[١] مجلة العلوم الكويتية مجلد١٤ عدد١, ٢ ص١٦

فخَلْقُ جميعِ ما في الأرضِ من بحارٍ ويابسةٍ وأحياءٍ من نباتٍ وحيوانٍ، إنَّمَا تمَّ تصميميا قبل إيجادِه، فما قبل التعبير (ثُمَّ) حدث أولا، وما بعده حدث تاليا، فخلْقُ السماوات التنفيذي وقع بعد تصميمِ كل مقوماتِ وجودِ الأحياءِ والإنسان.

والآيات الآتية تحملُ جميع مبادئ الخلق التي قررها الله:-

"قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ{٩} وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ{١٠} ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ{١١} فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ{١٢}" فصلت ٤١

فكلمة (ثُمَّ) هنا تفصل بين تصميم الأرض للعالمين بما فيها من جبال وأقوات لكلِّ مَن يطلبُ القوتَ، وبين إيجادِ الخلقِ على الواقع التنفيذي، مع أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر هذا التصميمَ كجزءٍ من عمليةِ الخلق، تماما كما يفعلُ المهندسُ مع تسبيح الله عن التشبيه وتنزيهه عن تمثيله وإنما أردت لفت الانتباه إلى الفعل، فالتخطيطُ جزء لا يتجزأ من البناء.

والقرآن العظيم قد بين في أكثر من موضع هذه التصميمات الهادفة، وتفصيلا لعلاقاتها، وتسلسل التصميم ذاته، فنرى في الآيتين ٩-١٠ **فصلت**٤١، السابقتين أن عمليةَ تصميمِ الأرض كانت في مرحلتين، وتصميم إرساءِ الجبال فوقها، وبثِّ البركة فيها، وتقديرِ الأقواتِ كان في أربعةِ مراحل.

ومن ناحية أخرى فإن عدد مراحل عملياتِ التصميمِ لا تمتُّ بصلةٍ بعددِ مراحل عملياتِ التنفيذِ، فالمهندسُ المصمِّمُ لمنشأةٍ ما يرسمُ الخرائطُ بعد عملِ حساباتٍ دقيقة على بياناتٍ قد جمعَها من قبل، ثم يضعُ خطةَ توزيعِ العمل، فمراحل التصميمِ التي نتوقعُ أن يستعملَها المهندسون تكون:-

١- رصد الهدف من العمل كأن تكون مدرسة مثلا للتعليم الثانوي الصناعي.

٢- جمع البيانات كموقع العمل ومساحته والبيئة من حوله.

٣- معالجة البيانات كعمل حسابات القواعد والأعمدة والأسقف وكميات المواد الإنشائية وأنواعها.

٤- رسم الخرائط وتدوين خطة التنفيذ.

وعند التنفيذ العملي نجد عددا من المراحل الأخرى لا علاقة لها بعدد مراحل التصميم مثل:-

١- تجهيز عدة العمل من تراخيص ومساعدين وعمال وآلات وخامات.

٢- تجهيز موقع العمل من إزالة مخلفات وتنظيف.

٣- وضع القواعد والأعمدة والأسقف.

٤- بناء الحوائط والتشطيبات.

٥- وضع التجهيزات ومستلزمات الدراسة والتدريب والصيانة والأمن.

هذا نموذجٌ بسيطٌ لعمل يقوم به الإنسان، ويتضحُ فيه مراحلُ التصميم ثم يليها مراحلُ أخرى للتنفيذ.

وهكذا **فعل الله القدير، مع الفارق العظيم بين إلهٍ خبيرٍ وبين إنسانٍ مخلوقٍ بِيَدِ هذا الإلهِ العظيم.**

الفصل الثاني

المبدأُ الثانِي

الخَلْقُ الدَّوْرِي

" ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ.. { ١١ }" فصلت ٤١

في التعبير الآتي نرى تعبير (دُخَانٌ) وهو يعني نواتج تحول شيء قبله، أي غبار وتكتل بلا جدوى أو فائدة مباشرة للمخلوقات، وكذلك نجد تعبير (السَّمَاءِ)[١] وهو يعني الكون، بما في ذلك كل **الأراضي والأقمار والشموس**، ومعنى ذلك أن الله القدير استوى إلى الكونِ وهذا الكونُ الدخانُ عادمٌ ومتحولٌ من شيء قبله وقبل أن يصبح فيه شموس وأراضي.

ووقفتُنا هنا عند هذا العادم المتحول من **شيء سابق له**، إن هذا الشيءَ هو كونٌ سابقٌ بلا شك، نضبت منه مواردُه وتكتلت طاقاته وموادُّه بما لا يدع للمخلوقات فرصة للاستفادة منها، ومثال ذلك **الثقوب السوداء**[٢] التي هي إن زادت كتلة أكلت كل ما حولها وصهرتها إن جاز هذا التعبير، لأن الصهر شيء قليل بجانب ما يحدث في الواقع داخل هذه **الثقوب السوداء**.

---

[١] الكون– اقرأ "التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم"

[٢] الثقب الأسود هو في الأصل أحد الشموس العملاقة، التي تزيد كتلتها عن حد حرج يبلغ حوالي ٣ كتلة شمسية، فتنهار منضغطة بشدة، ليصل الحجم إلى أقل بكثير جدا عن حجمها العادي، يقول بعض العلماء بأنها نقطة رياضية، وفي نفس الوقت تظل قوة الجاذبية كما هي عالية جدا حتى أنها تجذب مزيدا من الشموس بكواكبها وكذلك الضوء المار **بحيز أفق** الثقب الأسود، ولا تسمح هذه الكتلة بخروج أي ضوء منها، ولذلك فإن الثقوب السوداء لا يمكن رؤيتها، ولكن يستدل على وجودها من أثر إشعاع الضوء والأشعة السينية التي تصدر عنها بسبب تصادم الجسيمات بعنف وبطريقة مميزة أثناء سقوط المواد به، ومن هنا جاءت التسمية، إذ لا يمكن رؤية ضوء خاص بها أبدا، ويوجد بوسط مجرتنا درب التبانة أحد هذه الثقوب السوداء، فربما تكون المادة التي أصبحت غير قابلة لأن يستفاد بها من قبل الكائنات هي [**الدخان**] الذي ذُكر في القرآن الكريم.

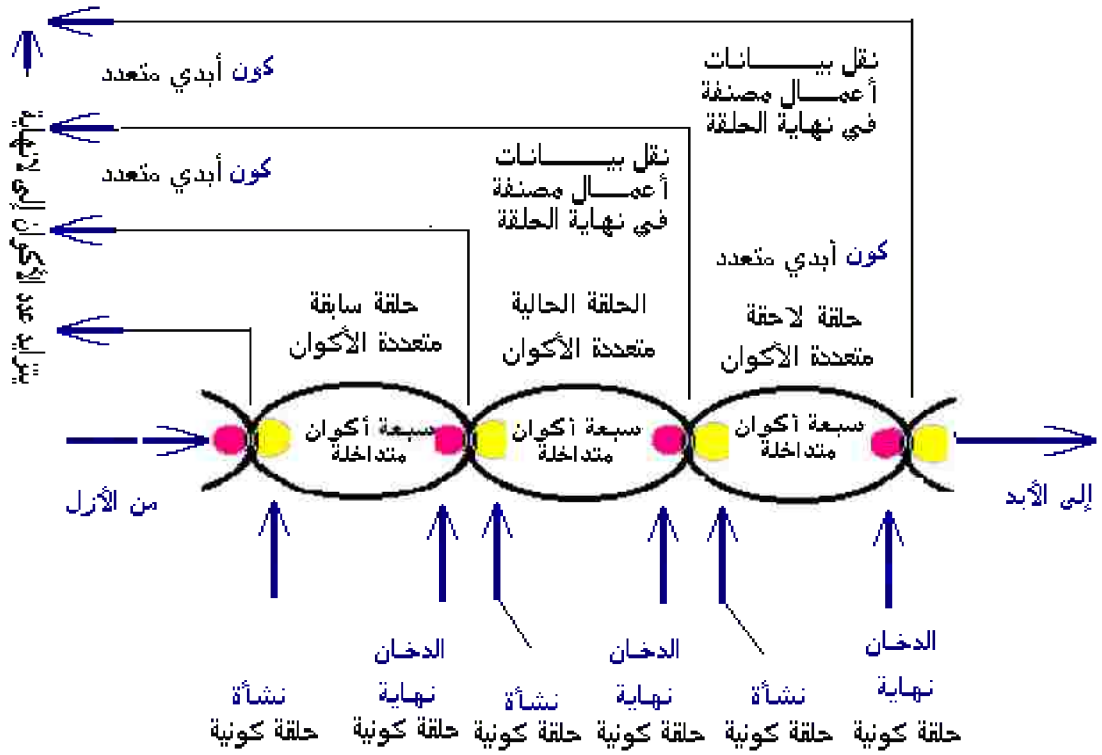

شكل ٥

رسم توضيحي لسلسلة حلقات الأكوان السبعة المتداخلة، حيث أن كل حلقة من المبينة بالشكل عبارة عن سبع حلقات معا ومتداخلة

ويبين الشكل انتقال بيانات الأعمال إلى أكوان الحساب الآخرة الدائمة إلى الأبد وينشأ عليها المحَاسَبون ويخلدون في درجات من النعيم أو العذاب حسب أعمالهم المصنفة

وربما بظهور المزيد من **الثقوب السوداء** يصبح الكونُ عادما أو أنقاضا أو ربما شيء آخر يسبب تفكك الروابط الذرية، ولا يصلحُ لحياةٍ، فتكون الساعة، أي نهايةُ الكونِ، وكما نشأ كونُنا من أنقاضِ كونٍ سابقٍ، ينشأُ كونٌ لاحقٌ على أنقاضِه، ويتكررُ الخلقُ، ويبدُرُ السؤالُ عن مصيرِ الكائناتِ التي قُضِي عليها بالموتِ، فمصيرُها قد بينه اللهُ عز وجل بأنها سوفَ تنشأُ نشأةً جديدةً في أكوانٍ غير هذه الأكوانِ وعلى أراضٍ غير هذه الأراضي.

"يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ {٤٨}"
إبراهيم ١٤

أما هذه الأكوانُ فهي أكوانٌ يبدو من الآيات التالية أنها سلسلةُ حلقاتٍ، منذُ الأزلِ[١]، وكلُّ حلقةٍ منها لها بدايةٌ ولها نهاية، ويبدو أنها تستمرُّ إلى الأبد.

"يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ {١٠٥} فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ {١٠٦} خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ {١٠٧} وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ {١٠٨}" هود ١١

ولأن هذه الأكوان التي استشهد بدوامها اللهُ على خلود الخالدين في النار وفي الجنة، كلٌّ بما عمل، ليست دائمةً في أجزائِها، وتتبدلُ أجزاؤُها من [**أراضٍ**] و[**أقمارٍ**] و[**نجومٍ**]، وحلقاتُها، من بدايةِ خلقِ الكونِ إلى يومِ القيامةِ أو نهايةِ الحلقةِ الكونيةِ الحالية، ثم تتبدل الحلقات أيضا، **في حين أن الكيان العام للكون دائم**، لذلك أحْكَمَ اللهُ قولَه بذكرِ الاستثناءِ من الدوام في الحالتين للشقي وللسعيد بقوله "..إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ، .." أي إلا ما شاءَ ربك من الكلِّ الدائمِ، لهذه الأجزاءِ المتبدلة، فهي غيرُ دائمة.

وعلى ذلك فهناك نوعانِ من الأكوانِ، **أكوانٌ للحسابِ** وهي غيرُ هذه الأكوانِ تماما، هي **السماوات العُلَى** ولها مبادئ أخرى لخلقها، **وأكوانٌ متبدلةُ الأجزاءِ والحلقاتِ**، هي **السماوات السبع**، وهي للخلق الأولِ للاختبار، وهي التي لها هذه المبادئ التسعة، التي هي موضع البحث.

وفي النهايةِ فالكونُ الذي نحن فيه، هو حلقةٌ زمانيةٌ ومكانيةٌ واحدةٌ لها بدايةٌ ولها نهاية هي التي عبر عنها الله سبحانه وتعالى بالنفخ في الصور، ويسبقُها حلقاتٌ منذُ الأزلِ، ويلحقُها حلقاتٌ إلى الأبد.

---

[١] وقد نادى بأزلية الكون الإمام "**أبو الوليد محمد بن أحمد**" الشهير بـ "**ابن رشد**" اقرأ في مجلة العربي العدد ٤٢١ ديسمبر ١٩٩٣م موضوع "الحضارة الإسلامية ونظريات الكون" للدكتور "**نضال قسوم**" ص٩١.

بدايةُ الحلقةِ الواحدةِ كانت [**دخانا**] ونهايتُها كانت **دخانا** أيضا، كما تبين هذه الآيات:-

"فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ{ ١٠ }" الدخان٤٤

ويتضح من الآيات التالية لهذه الآية أن هذا الدخانُ ليس نهاية الكونِ ولكن يغشى الناس أي يَعُمُّهُم ويشملهم ويعلمون أن النهاية قد ابتدأت علاماتها فيصيبهم القلق والخوف ويطلبون كشف العذاب، ولكنهم لا يحافظون على كلمتهم بأنهم مؤمنون، وينبئهم الله بذلك:-

"إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ{ ١٥ }" الدخان٤٤

أي عائدون إلينا في الآخرة للحساب.

ويحذرهم من هذه النهاية القادمة التي لا مفر منها، وهي الساعة:-

"يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ{ ١٦ }" الدخان٤٤

معنى ذلك أنه بظهور **الثقوب السوداء** تكون علاماتُ النهاية الأكيدة قد بدت واضحة، وأن نهاية الحلقة الكونية أصبحت شيئا ملموسا.

ثم تأكيدا للترقب أعاد الله وكرر ذلك في آخرِ آيةٍ من نفس السورة حيث قال:-

"فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ{ ٥٩ }" الدخان٤٤

وفي بعض التفاسير قِيلَ ما يقرُب مما قلت، **بأن هذا الدخان سيأتي يوم القيامة**، (كما جاء في تفسير <**ابن كثير**> و<**الفخر الرازي**>).

"وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ{ ٢٧ }" الروم٣٠

فالآية تؤكد على الدورية حيث يقول الله سبحانه وتعالى بأن له في هذه الدورية المثل الأعلى في خلق السماوات والأرض ثم إعادة خلقهما.

إذن فكونُنا دائمٌ بدوامِ توالي حلقاتِه، حيث يصنع الله كونًا لاحقًا من غبار ونفايات الكون السابق، إنه مبدأ المبدعين بحق.. مبدأ التدوير.

وهذا مثال نموذجي على ذلك:-

تبدو دورية الخلق في كل شيء تقريبا فالماء له دورة حيث يتبخر من البحار والمحيطات ويصير سحابا ليمطر على المرتفعات ويهبط منها في أنهار ثم يعود إلى البحار والمحيطات من جديد، والأكسيجين وثاني أكسيد الكربون لهما دورة حيث يتنفس كل كائن حي تقريبا بأخذ الأكسيجين وطرد ثاني أكسيد الكربون ثم يأتي النبات ويأخذ ثاني أكسيد الكربون ويخرج الأكسيجين في دورة متوازنة، ودورة الموت والحياة، ودورات حياة الكائنات، كالفراشات مثلا حيث تبيض الفراشات ويفقس البيض يرقات وتصبح اليرقات عذارى وتخرج الفراشات من العذارى، وهكذا كل شيء له دورة.

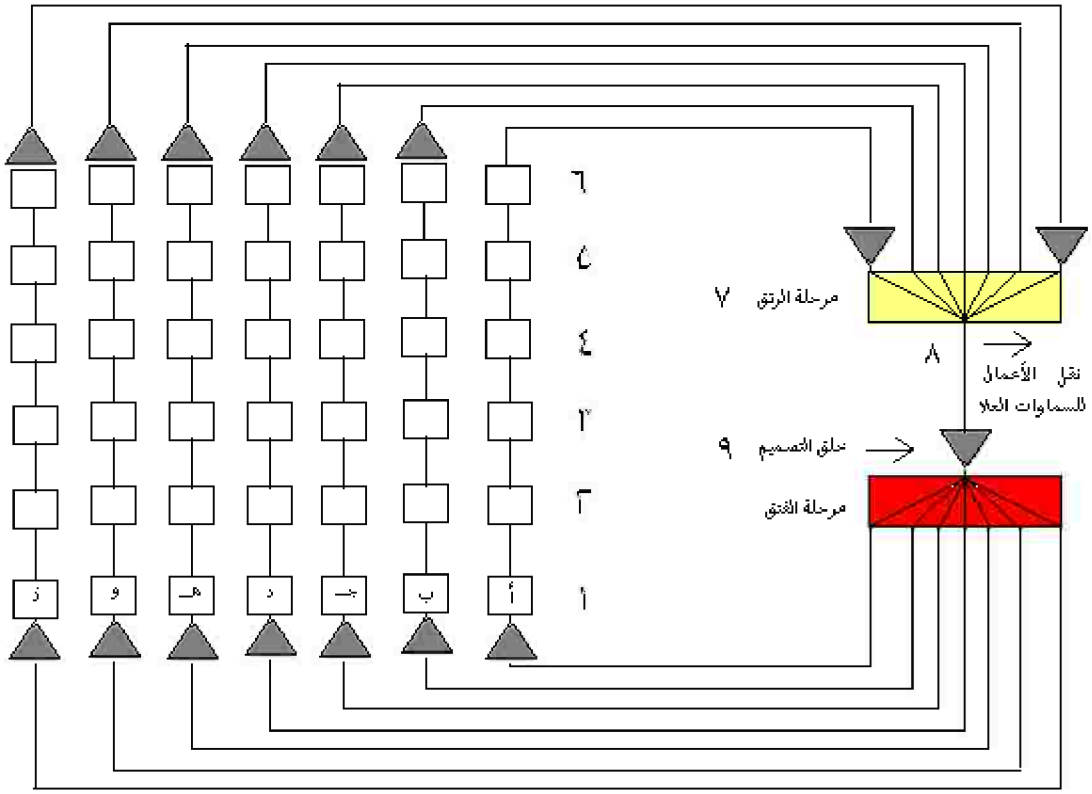

شكل ٦

رسم توضيحي يبين مراحل الخلق التنفيذي للسماوات السبع اللطيفة المتداخلة وسلسلة التدوير طبقا لما ورد في الآيات ٣٠ الأنبياء٢١، ٢٧-٣٣ النازعات٧٩، ٥٤ الأعراف٧، ١٢ فصلت٤١

الرمز	المضمون	الرمز	المضمون
أ	السماء الدنيا	١	مرحلة البناء
ب	إحدى السماوات الست الأخريات	٢	رفع السَّمك
جـ	إحدى السماوات الست الأخريات	٣	التسوية
د	إحدى السماوات الست الأخريات	٤	الليل الكوني
هـ	إحدى السماوات الست الأخريات	٥	ظهور النجوم
و	إحدى السماوات الست الأخريات	٦	تشكيل الأرض
ز	إحدى السماوات الست الأخريات	٧	مرحلة الرتق للسماء الأولية الدخان
		٨	نقل البيانات للسماوات العلى
		٩	خلق تصميمي ثم مرحلة الفتق

الفصل الثالث

المبدأُ الثَّالثُ

الخلقُ الحَتْمِي

".. فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا.. {١١}" فصلت ٤١

عندما يقرر الإنسان عمل شيء بعد دراسته، وقبل شروعه في التنفيذ، يتحكم فيه عوامل خارجة عن إرادته، من شأنها أن تعطل قراره بعض الوقت أو إلى الأبد، فمكوك الفضاء الأمريكي "**شالينجر**" الذي انفجر بعد ٧٣ ثانية من إطلاقه في ٢٨ يناير ١٩٨٦م، وكذلك مكوك الفضاء كولومبيا الذي انفجر في ١ فبراير ٢٠٠٣م أثناء عودته من الفضاء، وما لحق المشروع من خسائر في الأنفس والماديات، لهو دليل على أن قرار الإنسان ليس مؤكدا حتما أن ينفذ.

وجميع القرارات البشرية هكذا معرضة للفشل لعوامل خارج إرادة الإنسان الواعية، أما عن الله سبحانه وتعالى فليس الأمر كذلك، بل إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، وعلى ذلك فإن للأوامر الإلهية صفةً يستحيل أن تتصف بها الأوامر البشرية، وهي صفة الحتمية، ومن هنا كان فرضا على المؤمن ألا يُقْدم على فعلٍ ما إلا أن يقول:- "إن شاء الله سأفعل كذا..."، لكي يظل متذكرا أن هناك احتمالا قائما أن يَفْسَدَ قرارُه، مهما كانت درجة الدقة التي لجأ إليها، ولا يأمن أن يُخسف به الأرض فجأة.

أما من الجانب العلمي فقد أورد بعض العلماء في الكون أن الكون أثناء **التمدد الانفجاري الكبير** كان من الممكن ألا يكون هكذا، وأن هذا الحال إنما وجد على سبيل الصدفة، ولكن علماء أحدث منهم قد أكدوا دون أدنى شك أن الكون على حالته كان حتما محتوما، وهناك أكوان أمثاله[١] كثيرة. (الدالة الموجية تدور في فضاء مجرد لانهائي الأبعاد يدعى فضاء هيلبرت space Hilbert، ومع أن الميكانيك الكمومي كثيرا ما يوصف بأنه؛ بطبيعته؛ عشوائي وغير محدد بدقة، **فإن الدالة الموجية تتطور بطريقة حتمية مقررة ليس فيها ما هو عشوائي أو غير محدد بدقة**).

[١] مجلة العلوم الأمريكية ترجمة الكويت مجلد ١٩ عدد ١٢/١١ صفحة ٤- بعنوان أكوان متكافئة.

"ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا..{ ١١ }" فصلت ٤١

عند تدقيق النظر في هذه الآية، نجد الأمر (ائْتِيَا) يعني أن الله قد أوجب الخلق، وسوف يتم حتما، بالطوع أو بالكره، وليس هناك أي احتمال أو استثناء لوقف الأمر عن التنفيذ.

ولأن قدرة الله مطلقة كما أوضحنا من قبل، ولا تُحَدُّ إرادتُه إلا بصفاته، ولأن الأمر السابق (ائْتِيَا) هو أمر من الله، إذن فلابد من تنفيذ الأمر، فهو **حتمي**.

وفي القرآن الكثير من الآيات التي تؤكد أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون.

والحوار هنا هو مجرد وصف حال أو إقرار حقيقة في صيغة تمثيل أو ترميز لتقريب الفكرة لنفس القارئ أو المستمع، والقرآن مليء بمثل هذا الحوار والتمثيل والترميز والتشبيه، فهذا يمثل الحالة بوضوح تام ولا يعني المجادلة بالحديث.

"هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ{ ٦٨ }" غافر ٤٠

"إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ{ ٨٢ }" يس٣٦

"إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ{ ٤٠ }" النحل١٦

"إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ{ ٥٩ }" آل عمران٣.

الفصل الرابع

المبدأُ الرَّابعُ

الخلقُ السَّبَبِي

".. فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ{ ١١ }" فصلت ٤١

نلاحظ أنه عند حدوث جريمة قتل، تجمع أجهزة العدالة الشواهد، وتستقرئها لتحديد أدلة الاتهام لتقديم القاتل للمحاكمة، وفي سبيل ذلك تُعْمِلُ المَنْطِقَ بحثا عن الحقائق، وكل هذا انطلاقا من مبدأ أن لكل شيء سبباً، ولو كان الإنسان لا يؤمن بهذا المبدأ، لضاعت حقوق، وزُهقت أنفس، بلا تعويض للمجني عليهم، أو ردع للجناة.

وهناك بعض الناس يظنون عكس هذا المبدأ، فعندهم ليس هناك ضرورة لارتباط إرادة الله بمبدأ السببية، انطلاقا من الاعتقاد بأن الله على كل شيء قدير، وذهب ظنهم إلى أن قدرة الله تقتضي عدم سببية نواتج إرادته، أي عدم ارتباط المسبَّب بالسبب، وفسروا الشواهد الدالة على أسبابٍ ظاهرةٍ على أنها نشأت بحكم العادة، وليس بحكم الضرورة، ويقولون قولا يشبه أننا تعودنا أن نضع كوبا على موضعه ولا يتغير وضعه إلا إذا فعَلَت به ذلك قوةٌ أخرى، ولكن من الممكن ألا نجده في نفس الموضع، والنار لا تحرق إلا بحكم العادة، ومن الممكن ألا تحرق، وضربوا أمثلة من الخوارق على أنها أدلة لما وصلوا إليه من ظن.

فهل ما ذهبوا إليه حقيقة؟ أم مجرد رأي بني على خطأ؟!.. وهل دنيانا التي نحياها سببيةٌ في إدارتها؟

وأَدَعُ القرآنَ يقول كلمته:-

".. فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ{ ١١ }" فصلت٤١

في الآية السابقة.. نجد التعبير (طَوْعًا)، والتعبير (كَرْهًا)، وللتعرف على معنى التعبيرين نستعرض معا الآية:-

"وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ{ ١٥ }" الرعد١٣

فكيف السجود **طوعا**؟، وكيف السجود **كرها**؟

السجود هنا ليس سجود النسك كما في الصلاة، وإنما هو الإذعان والخضوع الشامل، كما تدل عليه الآيات الآتية:-

"أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ{ ٤٥ } أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ{ ٤٦ } أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ{ ٤٧ } أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ[١]{ ٤٨ } وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ{ ٤٩ } يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ{ ٥٠ }" النحل١٦

وعلى ذلك فالسجود هنا هو الرضوخ التام، بل والمطلق لله، ودون اعتبار للوعي، بمعنى أن الساجد سواء علم بسجوده أو لم يعلم فهو ساجد أو راضخ أو مذعن لأمر الله.

---

[١] أذلاء لله وتحت قيادته.

والآية السابقة ١٥ الرعد١٣.. ذكرت كلمة (مَنْ) التي تفيد بأن الخطاب للعقلاء، وهم يتميزون بالاختيار الحر[١]، ولذلك فإنه يوجد احتمالان عند صدور أمر تشريعي إليهم من الله، **أحدهما** أن يطيع الفرد العاقل هذا الأمر، **والاحتمال الآخر** هو أن يرفض الطاعة، ففي حالة أن يكون الفرد منفِّذا باختياره الأوامر التشريعية لله وحده دون [**شرك**][٢]، فهو في هذه الحالة ساجد لله طوعا، أما إذا اختار الفرد رفض التشريعات الإلهية، وظن أنه حر طليق بعيد عن الله[٣]، وهو في الواقع ليس كذلك، حيث أنه وُجِد في الحياة دون إرادته، ويموت دون رغبته، ويُبْعث رغم أنفه، ويُحاسب ويُعاقب بغير رضاه، فيكون بذلك ساجدا لله كرها.

ويمكن أن نقول بأن الفرد الساجد طوعا، هو الذي يختار [**طاعة**] الله، والفرد الساجد كرها، هو الذي يختار عصيان الله.

أي إذا اتفقت إرادة المخلوق مع [**الإرادة**] التشريعية لله، **فالسجود طوعي** مع الإرادة العليا لله التي تَقهر ولا تُقهَر.

وإذا اختلفت إرادة المخلوق مع الإرادة التشريعية لله، **فالسجود كرهي** مع الإرادة العليا لله التي تَقهر ولا تُقهر أيضا.

ولمزيد من التفصيلات حول الإرادة التشريعية والإرادة العليا، اقرأ في التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم.

ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر التعبير (**طوعا وكرها**) في الآيات التي ذكرت السجود لغير العقلاء والملائكة في الآية ٤٩ النحل١٦، لأن السجود هنا لفئة لا تملك الاختيار حول {**الإرادة التشريعية**} كالإنسان، راجع شكل٢.

---

[١] راجع تعبيرات الإرادة والاختيار والجبر في "التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم"

[٢] الشرك هو الطاعة المطلقة لغير الله– راجع "التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم"

[٣] اقرأ في التعريفات الاشتراطية عن الإرادة والقهر.

وبالعودة مع الاستنتاج السابق إلى أمر الإتيان طوعا أو كرها للسماء والأرض، نجد أن الرد جاء "قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ".

فيعني هذا الرد أنه يوجد اتفاق بين إرادة السماء والأرض للتواجد من جانب، وبين {**إرادة الله التنفيذية**} من جانب آخر، فماذا يعني اتفاق الإرادتين؟ وماذا كان يحدث لو كانت الإرادتان اختلفتا بالاحتمال الآخر لو قالتا (**أتينا كارهين**) مثلا؟

نحاول أولا إخراج معنى [**الإرادة**] لغير العاقل كالجماد، والآية الآتية فيها غايتنا:-

"فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا{٧٧}"
٧٧//الكهف١٨

والجدار جماد غير عاقل وإرادته للانقضاض من الواضح تماما هنا أنها **أسباب الانهيار، كالميل والتهرؤ والشروخ**.

ولكي تتكون [**إرادة**] تواجد السماء والأرض؛ يجب تكوين أسباب هذا الوجود، واتفاق أسباب وجودها مع [**إرادة**] الله التنفيذية؛ أو اختلافها، لم يكن مانعا اللهَ من إيجادها طبقا لمقتضى [**الإرادة**] المشيئية القاهرة، حيث قال "ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا"، فالإيجاد لهما أمر حتمي، كما سبق في **مبدأ الحتمية**، ولكن هذا الإيجاد له احتمالان انطلاقا من حقيقة القدرة المطلقة لله، **الاحتمال الأول** هو **الإتيان طوعا** أي أن **الإرادتين متفقتان**، بمعنى أن أسباب إيجاد [**السماء**] و[**الأرض**] متفقة مع {**إرادة الله التنفيذية**}، **والاحتمال الآخر**، هو **الإتيان كرها** بمعنى أن أسباب إتيانهما لا تتفق مع {**إرادة الله التنفيذية**}، ومع هذين الاحتمالين، ومع قدرة الله المطلقة على أن يفعل ما يشاء منهما، فقد بيَّن الله القدير أن الخلق للسماوات السبع قد حدث بالاحتمال المبيَّن أن **الإرادتين اتفقتا**، حيث قال "أَتَيْنَا طَائِعِينَ"، وليس بالاحتمال الآخر، وليس بالخلط بين الاحتمالين.

والإيجاد للخلق مع كون الأسباب متفقة مع إرادة الله التنفيذية معناه **سببية الخلق**، أي أن أي باحث في أي فرع من فروع العلم، حتى الخوارق، سوف يجد دائما حلقات الأسباب متصلة على هيئة

دائرية بمعنى أن البداية هي النهاية والنهاية هي البداية من جديد وهكذا، مهما طالت سلسلة الأسباب وتعقدت.

أما لو خلق الله الكون بدون اتفاق الأسباب مع إرادة الله التنفيذية فهذا معناه أن مبدأ اللاسببية هو الذي يعمل وتكون النتائج مقطوعة عن أسبابها، والباحث لن يصل إلى شيء يفيده في بحثه ولن يكون لأي بحث معنى، ويمكنك مثلا أن ترى في وقت معين شجرة وبعد قليل لا تجدها، ويمكن أن ترى رجلا لم يكن طفلا من قبل، وهكذا، وقد نادى بعض المفكرين بهذا المبدأ (مبدأ اللاسببية)، وعلى رأسهم <الإمام الغزالي> في كتابه **تهافت الفلاسفة** –حيث *قال بأننا اعتدنا على أن نرى النتائج مرتبطة بأسبابها ولكن هذا غير حقيقي وضرب مثلا وهو عدم حرق النار لإبراهيم له الشكر والثناء حينما حاول قومه حرقه*–، ولم يعجب هذا الرأي <**الإمام ابن رشد**>، فرد عليه في كتابه **تهافت التهافت** –حيث *بين أن عدم وجود أسباب معناه غياب المنطق وتوقف الفكر*–، ولكلٍّ وجهة نظره، ولكن للقرآن الرأي الأخير دائما بشرط أن يكون فهمه صحيحا.

وقد قال بنفي السببية أيضا <ديفيد هيوم>.

وقرار الله سبحانه وتعالى أن يكون الخلق سببيا، هو رحمة كبرى للإنسان، فابحث ما شئت، سوف تجد دائما أن النتائج لها أسباب متصلة لا انقطاع لها[1] إلا بسبب عدم العلم بها، وابحث عن كيفية بدء الخلق، وسوف تعلم كيف بدأ الله الخلقَ، بالبحث لا بالخرافات، وبالعلم لا بالجهل وعدم العلم.

[1] مثل الدورات التي ذكرتها من قبل كدورة حياة الفراشة أو دورة الأكسيجين وثاني أكسيد الكربون وغيرها، كلها أسباب متصلة حلقيا، ولولا وجود نتائج مرتبطة بأسبابها ما علمت المحاكم من المذنب ومن البريء وما أقيم عدل،

"أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ{١٩} قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{٢٠}" العنكبوت٢٩

وما حاسب الله أحدا على أي شيء سواء كان شرا أو كان خيرا، وما فكر مفكر وأخرج شيئا مثمرا، فالفكر سببي وهو خير دليل على وجود مبدأ السببية.

الفصل الخامس

المبدأُ الخَامِسُ

الخلقُ المُتعدِّد التدَاخُلِي

"فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ.." ١٢ فصلت ٤١

قد بينت في مبدأ سابق أن الكون ممتد منذ الأزل وإلى الأبد في حلقات، كل حلقة لها بداية ولها نهاية، وبداية كل حلقة هي نهاية الحلقة التي تسبقها، ونهاية الحلقة هي بداية لحلقة لاحقة، وسوف نرى أن اللهَ الخلاقَ القدير، قد خلقَ كلَّ حلقة عبارة عن سبعة أكوان متداخلة في بعضها البعض، وكل كون منها لا يشعر بالأكوان الأخرى[١]، والجميع في حيز واحد يشغلونه، وفي نفس الوقت يشغله بالكامل كل واحد من الأكوان على انفراد وكأنما يخيل لساكنيه أنه لا يوجد في الكون من يزاحمهم، ويرَوْن فيه من السَّعَة ما يُعجز التصور[٢].

"فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ.."، وهذا التعبير يؤكد تعدد الأكوان في الحلقة الزمنية الواحدة، حيث نشأت الأكوان السبعة في لحظة واحدة، بعد أن كانت هي والأرض شيئا واحدا:-

"أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ { ٣٠ }" الأنبياء ٢١

---

[١] مجلة العلوم الأمريكية ترجمة الكويت مجلد ١٣ عدد ١٢ ديسمبر ١٩٩٧م ص ٥٢ ــ ترى أن التجارب العلمية حصلت بطريق الصدفة على جسيمات تختفي عن النظر عند التعامل معها بطريقة معينة ويصعب تحديد أين هي. وهناك تفسير من بعض العلميين الذين يعتمدون جميع الاحتمالات الممكنة وليست العملية فقط، حيث يؤمنون بفكرة العوالم المتعددة، ويقول التفسير بأن جميع الإمكانات التي تأذن بها الدالة الموجية لجسيم ما تحدث بالفعل، ولكن تتحقق في عوالم متوازية.

[٢] راجع النسبية العامة <لآينشتاين>.

أما وجود الأكوان السبعة بالنسبة لبعضهم البعض، فقد **اتفق المفسرون جميعا على أنها طبقات، تعلو الواحدة الأخرى، وأقربها إلينا هي السماء الدنيا، وأبعدها عنا هي السماء السابعة**، ولكن الله في آيات محددة قد بَيَّنَ غَيْرَ هذا التصوُّرِ تماما، وإليك هذه الآيات لندرسها معا:-

"وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ{١٣٣}" آل عمران٣

"سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ{٢١}" الحديد٥٧

فنجد أن الجنة التي هي موضوع التسارع والسباق واحدة في الآيتين، وعرضها هنا بمعنى حيزها أو حجمها أو مساحتها.

ونجد أيضا أن الله سبحانه وتعالى عندما وصف عرضها بدون تشبيه قال (عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)، ولما وصف عرضها مُشَبَّهًا قال (عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ).

ففي الوصف بدون تشبيه كان عرض الجنة **هو السماوات** والأرض جميعا، وفي الوصف المشبه كان عرضها **يشبه عرض السماء** الواحدة.

ومن هذا التقديم في الوصفين نعلم أن عرض السماء الواحدة يشبه عرض السماوات جميعا، ولا يمكن لنا تصور ذلك إلا أن كلَّ سماءٍ تَشغلُ الحيزَ الكاملَ لكل السماوات، ولا يحدث ذلك إلا بالتداخل، وخاصة أننا نعلم أن الأرض كروية الشكل وليس لها فوق أو تحت إلا نسبيا، فما هو فوقنا في أفريقيا وآسيا وأوروبا، هو نفسه تحت الأمريكتين واستراليا، وما فوق القطب الشمالي هو بعينه تحت القطب الجنوبي، وعلى هذا لو اعتبرنا أن السماوات طبقات فوقنا لوجب أن تكون طبقات أغلفة، كل منها تغلف ما تحتها، وكانت تشبه هي والأرض البصلة، تعتبر الأرض في المركز والسماوات تحيط بها كأغلفة البصلة، وهذا التصور مخالف لكثير من الآيات، حيث أن كلمة الأرض ليس معناها أرضنا

وحدها، ولكن تعني جميع الكواكب التي يمكن أن يطأها[١] مخلوق (أنظر معنى تعبيرات **الأرض** و**السماء** في بحث **التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم**)

وعلى هذا فإن السماوات أو الأكوان السبعة خُلقت متداخلة، والكون الذي نحن فيه ونُحِسُّه بكافة وسائل الحس الطبيعية أو المصَنَّعة هو السَّمَاء الدُّنيا، وبقية الأكوان الأخرى مُنطَبِقَة فوقه في نفس {**الحيز العام**}[٢]، ولكن دون أن يحس مخلوقات كلٍّ منهم بمخلوقات الآخرين، وتعبير طباقا يعني التكافؤ أي أن السماوات السبع تحتوي كل منها مثل الأخريات تماما من مادة ومخلوقات، وجميعهن متداخلات.

والذي يتضح الآن أن هنا، في نفس {الحيز العام} **الذي نشغله بكوننا، أكوانا أخرى معنا تزخر بالحياة، ولكن لا نشعر بها، ولا يشعر كل منها بالآخرين إلا في ظروف خاصة ونادرة وليس لكل الأكوان.**

وعندما قلت {**الحيز العام**} قصدت التفريق بين مكان كل كون وبين الكينونة الكاملة لكل الأكوان، حيث أن مكان كل كون يتمدد ويتقلص معه مستقلا عن غيره والحيز المكاني له لا يبدو إلا من داخله فقط، أما {**الحيز العام**} فهو يشمل كل كون ويبدو أنه منشغل به وحده، ولا توجد مسافات بين الأكوان بالنظر إليها من خارجها، فالمسافات من صنع كل كون على انفراد في داخله

---

[١] يمشي عليها.

[٢] **الحيز العام** هو حيز وسط ما يشمل أماكن كل السماوات المتداخلة، دون أن تشعر كل سماء بالأخريات، ودون اصطدام لأنهن لطيفات.

فقط كما قلت، ليبدو أن كل كون يشغل {**الحيز العام**} كله بمفرده، راجع النسبية العامة <لآينشتاين> لتقريب الفكرة، فإذا افترضنا أنك تنظر إلى كوننا من خارجه من أي موقع على كون آخر فإنك لا ترى إلا نقطة رياضية ليس لها أي أبعاد مكانية ولا موقع محدد، وكذلك فالأكوان الأخرى قد أزلفت كنقاط رياضية ليست لها أبعاد هندسية ولا مكان محدد من منظورنا ونحن على كوننا (سمائنا الدنيا).

".. ۞ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ{٢٥٥}" البقرة٢

الفصل السادس

المبدأ السادس

الخَلْقُ المرْحَلِي

".. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ.. {١٢}" فصلت٤١

قدرة الله كما قلنا من قبل مطلقة، حيث كان بإمكانه أن يخلقَ الكونَ دفعةً واحدة، ولكن الله اختار مبدأ الخلق المرحلي أي خطوة تليها خطوة، ".. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ.." ١٢ فصلت٤١

والآيات ٩-١٠ فصلت٤١ تُذَكِّر أن خلقَ الأرض في يومين وتقدير الأقوات فيها في أربعة أيام، وكلمة يوم في لسان القرآن تعني مرحلة زمنية ليس لها حد ثابت، فمن الممكن أن تكون ألف سنة أو خمسين ألف سنة[١] أو أصغر من ذلك أو أكبر. وهي مراحل خلق التصميم.

ومن الآية ٣٠ الأنبياء٢١ نستنتج مرحلتين رئيسيتين "..أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ ..".

مراحل نشأة الكون الحالي

١- فالمرحلة الأولى هي الرتق، أو الالتحام.

الرتقُ هو اللصق أو الدمج، وهو للدخان الذي هو عادم المواد المتخلفة عن كل كون من الأكوان السبعة المتداخلة معا في **الحلقة الزمانية المكانية** الواحدة، وبدلا من أن تكون هذه المخلفات منفصلة بعضها عن البعض في الشعور، يتمُّ رتْقُها لِتُصبح وسطاً واحداً متجانسًا في {**الحيز العام**}[٢].

---

[١] ".. وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ **كَأَلْفِ سَنَةٍ** مِمَّا تَعُدُّونَ{٤٧}" الحج٢٢، "تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ **خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**{٤}" المعارج٧٠.

[٢] هو ما أسماه الله سبحانه وتعالى [**الكرسي**] وهو يشمل كل الأكوان.

٢- والمرحلة الثانية هي الفتق.

وفيها يتمُّ إنتاجُ سبعةِ صور من المادة، كلُّ صورة من هذه المادة -إن جاز تعبير مادة أو قُلْ وسطا- لطيفة[١] بالنسبة لغيرها من الصور الأخرى، وهذا الإنتاج ما هو إلا عملية فتق للمواد التي سبق رتقُها في المرحلة السابقة أي مرحلة الرتق. والآيات التي تذكر مراحل تنفيذية هي:-

"إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ..{٥٤}" الأعراف٧

"أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا{٢٧} رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا{٢٨} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا{٢٩} وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا{٣٠} أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا{٣١} وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا{٣٢} مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ{٣٣}" النازعات٧٩

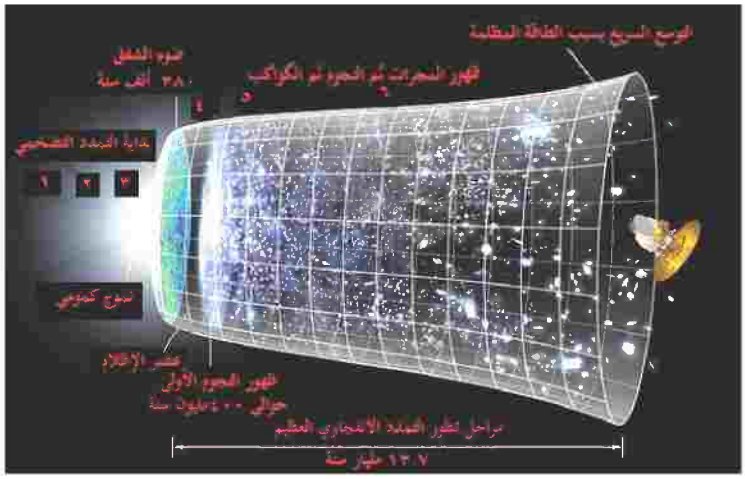

مراحل نشأة الكون

---

[١] لطيف بمعنى غير محسوس بوسائل الحس التقليدية كحواس الإنسان من سمع وبصر ولمس وتذوق وشم أو بالوسائل التكميلية كالتليسكوبات بأنواعها والميكروسكوبات بأنواعها. وأجهزة التنصت الحساسة بأنواعها.

والله سبحانه وتعالى يقول بأنه اللطيف بمعنى أنه يستحيل إدراكه بالحواس. والزجاج لطيف بالنسبة لأحد أطياف الموجات الكهرومغناطيسة التي منها الضوء وكذلك الهواء. وفي هذا كان "آينشتاين" قد وضع نظرية تفيد بأنه *يمكن وجود عالمين معا في حيز واحد ولا يمكن لأحدهما أن يشعر بالآخر معظم الوقت*. يفهم هذا من كتابه حول النسبية الخاصة والعامة، وهذا لطف نسبي بين المخلوقات وليس مطلقا كلطف الله.

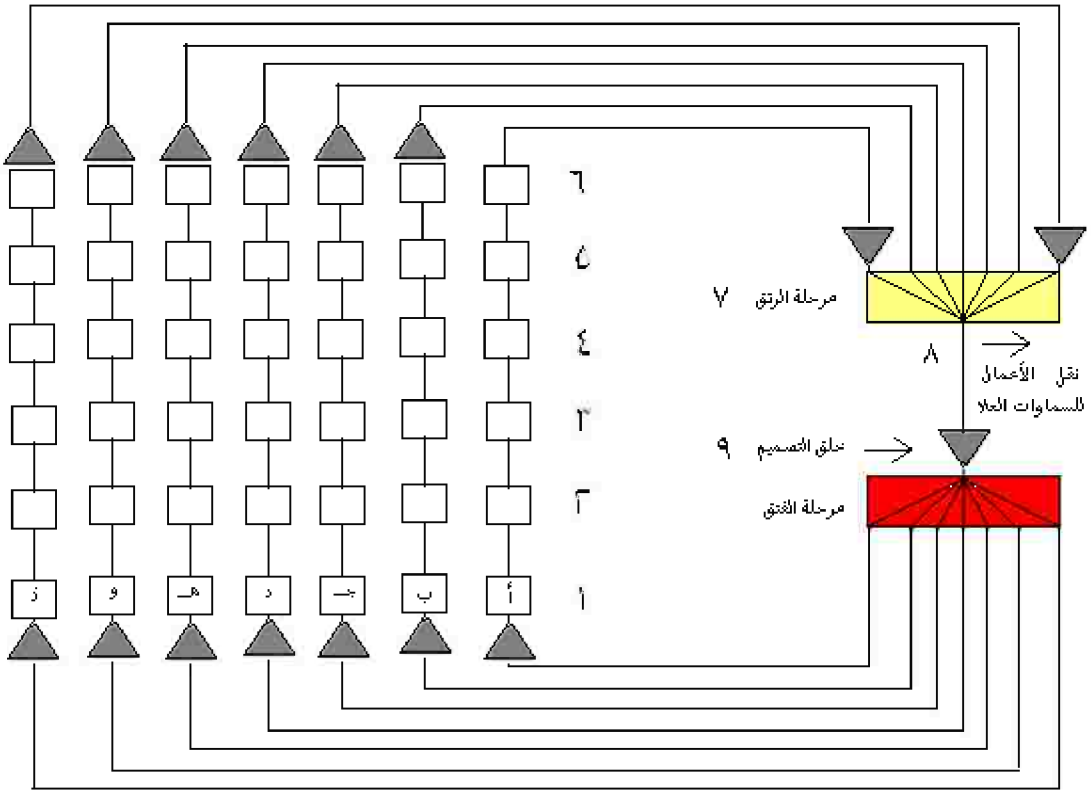

شكل ٦

رسم توضيحي يبين مراحل الخلق التنفيذي للسماوات السبع اللطيفة المتداخلة وسلسلة التدوير طبقا لما ورد في الآيات ٣٠ الأنبياء٢١، ٢٧-٣٣ النازعات٧٩، ٥٤ الأعراف٧، ١٢ فصلت٤١

الرمز	المضمون	الرمز	المضمون
أ	السماء الدنيا	١	مرحلة البناء أجزاء صغيرة جدا من الثانية
ب	إحدى السماوات الست الأخريات	٢	رفع السَّمك أجزاء صغيرة من الثانية
ج	إحدى السماوات الست الأخريات	٣	التسوية حوالي٣٨٠ ألف سنة
د	إحدى السماوات الست الأخريات	٤	الليل الكوني حوالي٤٠٠مليون سنة
هـ	إحدى السماوات الست الأخريات	٥	ظهور النجوم حتى الآن
و	إحدى السماوات الست الأخريات	٦	تشكيل الأرض حتى الآن
ز	إحدى السماوات الست الأخريات	٧	مرحلة الرتق (دخان)
		٨	نقل البيانات للسماوات العلى
		٩	خلق تصميمي ثم مرحلة الفتق

ونلاحظ قبل عد المراحل أن الكلام هنا عن السماء الواحدة وليس عن السماوات السبع، إذ كانت المرحلتان السابقتان هما لإخراج سبع سماوات من دخان مرتوق، وبعد أن انفصلت كل صورة من صور المادة عن التشكيل الموحد لتصبح لطيفة بالنسبة للصور الست الأخرى، جاء الترتيب كما في الآيات السابقة كالآتي:-

١- بناء السماء، ومن كلمة بناء أي رص لبنات، نفهم أنه تم إيجاد لبنات أولية وهي أول تشكيل جسيمي يحمل أبعاد الكون الحالي (السماء الدنيا) فقط، ومنها الذرات التي تبدأ في التو في التراص وأخْذِ مواقعها في البناء.

٢- رفع السَّمْك[١]، وذلك بظهور الأبعاد المحدِّدة لحيز تشكيلات الذرات، والتي بدأت تحدد الحيز الذي تشغله في السماء(الكون).

٣- التسوية، وذلك بظهور المعالم الرئيسية للسماء(الكون)، من تشكيلات السُّدُم[٢] الغازية.

٤- ظهور الليل الكوني، حيث أن ليلَ الكون أصبح مظلماً عندما برَدَت الموادُ المكونة للسُّدُم بتفرُّقِها إلى حدِّ الإظلام بعد أن كانت شديدةَ الوهج لحظة **التمدد المتفجر الأول**[٣].

٥- ظهور النجوم، حيث السُّدُم الغازية التي تراكمت موادُّها وكُتَلُها، إلى الحدِّ الذي أدى إلى حدوث التفاعلات النووية فيما بين ذرات الأيدروجين والهيليوم وبعضها، وظهورِ النجومِ الفتية، والتي عبرت الآية عن ضيائِها بالضحى[٤](وأخرج ضحاها-أي السماء أو الكون- وضحى الكون يوحي بأنه أخذ جزءًا من زمن الحلقة الكونية كما يأخذ الضحى من زمن اليوم).

---

[١] السَّمْك بتشديد السين وتسكين الميم هو الرفع وهنا يعني أوجد لها الأبعاد المناسبة التي تحدد حيزها.

[٢] السديم هو تجمع غاز الهيدروجين والهيليوم في مرحلة تسبق تكوين النجوم ليتحول السديم إلى مجرة عندما تبدأ النجوم بالتكون.

[٣] هو ما كان يطلق عليه الانفجار الأعظم.

[٤] ظهور ضياء الشمس وارتفاعها في السماء.

٦- تشكيل الأراضي، وهي تاليةٌ لظهورِ النجوم، حيث أن عناصر وموادَ الأراضي (العناصر الذرية) تنشأ من التفاعلات النووية الاندماجية في داخل النجوم، وكلمة الأرض تعني جميع الأراضي التي يمكنُ أنْ يعيشَ عليها أحياءٌ في جميع الأكوان، وبينت الآية مقومات هذا التشكيل الحيوي، وهي إخراج الماء من الأرض، والمرعى، وإرساء الجبال، وهذا هو المتاعُ اللازمُ للبشر وأنعامهم.

وهكذا **قدَّرَ الله أن يكون الخلقُ مرحليًّا، سواء في خلق التصميم كما بينت في المبدأ الأول وكان في ستة مراحل هي مرحلتان لتصميم الأرض ككوكب وأربعة مراحل لتصميم وتقدير الأقوات فيها للسائلين جميعا أي للمخلوقات كلها، أو في خلق التنفيذ كما بينت في هذا المبدأ –مرحلية التنفيذ– وكان في مرحلتين رئيسيتين هما الرتق ثم الفتق، وستة مراحل لكل سماء على حدة وهي البناء ورفع السَّمْك والتسوية وإغطاش الليل الكوني وإظهار الضحى الكوني وتشكيل الأرض وما عليها انظر "شكل ٥" في فصل المبدأ الثاني و"شكل ٦".**

الفصل السابع

المبدأ السابع

الإِدَارَةُ الذَّاتِيَّة

".. وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ .." ١٢ فصلت٤١

إن فكرة صنع شيء يديرُ ذاتَه هي فكرة شائعة في الصناعات البشرية الحالية، ولو أخذنا الحاسبات الآلية مثالاً لوجدنا أنها تعمل بتصميم المبرمجين ولا يمكن للحاسب الآلي أن يحيد عن البرامج الحاكمة له رمزا واحدا إلا خطأً، مع العلم بأن المبرمج لا يتواجد مع الجهاز إلا من خلال برامجه، وهذه البرامج هي إيحاء المبرمج إلى الحاسب، ومحرك السيارة يعمل بإيحاءِ مَنْ صَمَّمَهُ، ولا يحيدُ عن برنامجه إلا وتعطل، فالآلةُ تلتزِمُ بما أوحاهُ لها مُصَمِّمُهَا إيحاءً داخليا، وهذه هي الإدارة الذاتية.

ولذلك عندما قال الله سبحانه وتعالى".. وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ.." ١٢ فصلت٤١، فقد قصد -سبحانه وتعالى- أن أي شيء يحدث في الكون إنما هو تصميم سابق قد بَثَّه الله-أوحاه- في كل وسط البناء الكوني من جسيمات وطاقة وبالتالي الذرات، حتى يعمل كلُّ عنصرٍ-في الأوساط البنائية- بمقتضى التعليمات والبيانات التي لديه، ومنها تعليمات النشأة بما فيها من صفات طبيعية وكيميائية، وتعليمات التنامي، وتعليمات الترقي، وتعليمات العلاقات، وتعليمات الصيانة والحفظ والتوازن، الخ.

وهذه **هي الإدارة الذاتية للكون، وهي تتوافق وتتناسق مع مبدأ السببية تماما.**

الفصل الثامن

المبدأ الثامن

الجمال والزينة

".. وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ.." * ١٢ فصلت ٤١

الجمال سمةُ الخلقِ وقد وضع اللهُ مقاييسَ الجمالِ في فطرةِ المخلوقات ومنها الإنسان، ولكلِّ عالَمٍ مقاييسُ جمالٍ خاصةٌ به، فأجملُ فرسةٍ في العالم لا يتعدى جمالها في نظر أي إنسانٍ عن كونِها حيوانٌ رائعُ الجمالِ للزينةِ والركوب، وعالم الحشرات عالم جميلٌ أمام الناس، حيث أشكالها وألوانها وحركاتها جميلةٌ ورقيقة، ولكن فيما بين الخيول والفراشات يختلف الأمر.

وفي زينة السماء يقول الله عز وجل:-

"وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ{١٦}" الحجر١٥

وفي زينة المخلوقات وجمالها إلى جانب منافعها يقول الله عز وجل:-

"وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ{٥} وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ{٦}" النحل١٦

"وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ{٨}" النحل١٦

وفي الزينة التي أخرجها الله للناس يقول الله عز وجل:-

"يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ..{٣١}" * الأعراف٧

"الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ..{٤٦}" الكهف١٨

وفي زينة السماء الدنيا يقول الله عز وجل:-

"إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ{ ٦ }" الصافات٣٧

وفي استنكار تحريم الزينة يقول الله عز وجل:-

"قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ..{ ٣٢ }" الأعراف٧

و[**الجمال**] إطار عام لكل شيء، فإن نظرت إلى [**السماء**] فلن تجد شيئا قبيحا على الإطلاق، وإن صعدت على سطح [**القمر**]، ونظرت في [**السماء**] لرأيت جوهرةً باهرة معلقة في صفحتها، ومن حولها [**نجوما**] لامعة، والكل كأنما رُسِم على خلفية سوداء، هذه الجوهرة هي كوكب [**الأرض**].

والغريب في الأمر أن كل أكوام القمامة التي تؤرق أصدقاء البيئة لن ترى لها أثرا في جمال السماء أو صفائها، وتبقى [**الأرض**] ببريقها الخلاب زاهية في عيون الناظرين إليها من [**القمر**]، وكأنها عروسٌ تزينت وفي انتظار الحبيب المرتقب.

هذا يحدث عندما تبتعد بعدا كافيا عن تلك المخلفات، والأعجب أنك إن أحضرت مسحة منها ووضعتها تحت المجهر لرأيت عالما آخر، وإذا ازددت تكبيرا للمسحة لرأيت عالما منتظم التكوين، فتكوين خلايا الأحياء جميل، وترتيب الذرات في المواد منسق، وترتيب الجسيمات الذرية في الذرة هندسي الشكل، وتصنيف الجسيمات الذرية متناظر، حتى القوانين التي يكتشفها الإنسان رشيقة، وبسيطة التكوين ومتناظرة.

ومن هنا فالدهشة تأخذ قلبك، إذ البعد الكافي يُخفي القبحَ تماما وكأنه غير موجود، والقرب الكافي يخفيه أيضا، فكأنما القبح استثناء مقصود وليس قاعدة، أما القاعدة أو المبدأ هو [**الجمال**] و[**الزينة**].

والقبح أيضا نسبي، فما يراه الإنسان قبيحا يعيش عليه غيره، كالأسمدة التي تدخل في دورة حياة النبات، وما يضر بعض الكائنات ويتخلص منه يعتبره الإنسان مصدرا طيبا، مثل ما يحدث من فطر الخميرة، إذ تطرد الكحول وثاني أكسيد الكربون أثناء التمثيل الغذائي، والكحول من المواد المفيدة للإنسان في الصناعات المختلفة والتطهير، وثاني أكسيد الكربون هو من المواد التي يدخلها النبات في تكوين السكر والنشا والسليولوز وغيرها.

وللجمال والقبح في النفس دوال[١] موروثة، فالمناظر التي تدركها النفس توعز إلى ما في النفس من دوال، فتثير مدلولات هذه الدوال مقدارا من الرغبة أو النفور ومشاعر أخرى، هذه المشاعر تميز كل منظر عن غيره شعوريا.

وللقبح فوائد، إذ ينفِّر الإنسان من مخلفاته، وينفِّره من أعدائه، وينفِّره من بعض أفعاله، وبذلك يتقي الضرر [**بالفطرة**]، ويستفيد من الطيبات [**بالفطرة**] أيضا، ويميل إلى [**الزينة**] و[**الجمال**] [**بالفطرة**]، فتجده معطرا بأطيب العطور ويجمع أبدع الزهور ويرسم أجمل الصور، ويتكلم بأدب رفيع، **فالجمال** هو أيضا **جمال** الأخلاق مثل ما قال الله سبحانه وتعالى عن [**الصبر**] **الجميل** والسراح **الجميل**.

ويكفي أن يكون القبح مؤطرا بأطر من **الجمال**، لنقول بأن **الجمال** و**الزينة** مبدأ من مبادئ الخلق البديع الباهر.

*وفي أحد أعداد مجلة العلوم الكويتية مجلد ١٤ عدد٣ ص٤ ذُكر أن رواد رحلة "**أبوللو ٨**" قد بثوا في شهر ١٢/١٩٦٨م أول صورة للأرض وهم يدورون حول القمر، "وقد راقب الناس بإعجاب شديد الكرة الأرضية الجميلة الزرقاء (من لون المحيطات التي تغطي أكثر من ٧٥% منها) وهي تعلو فوق أفق القمر في سمائه السوداء الداكنة".*

وهناك أدلة كثيرة حول وجود [**الجمال**] في كل المخلوقات.

[١] الدالة هي المتغير التابع لمتغير مستقل أو أكثر مثل النتائج هي دوال للأسباب كالنجاح هو دالة أو نتيجة لأسباب سابقة وهي الاجتهاد في تحصيل العلم والمواد الدراسية.

الفصل التاسع

المبدأُ التَّاسع

الحفظُ والتوازُن الذَّاتِي

"... وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ.." ١٢

فصلت ٤١

لكل شيء في الكون نقيض، إذا التقى به أفنى هيأته وحوله إلى شيء آخر وإياه، وهذا الشيء واضح في الجسيمات الذرية، ولكن لماذا لا يلتقي النقيضان في معظم الوقت، الإجابة العلمية تجدها بين أيدي الباحثين.

أما هنا فنقول بأن الله قَدَرَ هذا ووضعه مبدأ للخلق، فوضع القوانين الحافظة لهيكل خلقه [**إلى أجل**] محدود.

ونفس الشيء ينطبق على كل الخلق، فكل مخلوق له أعداءٌ من بيئته، ومع هذا نجده يجابِهُ العداءَ ويستمر في الوجود إلى أجله، ومثال ذلك الحياة على كوكب الأرض، لها أعداء كثيرة، كالكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وأشعة ضارة بأنواع عديدة، ومع هذا نرى أن لكل منها عوامل تحد من مخاطرها إلى الحد الذي يسمح باستمرار الحياة وتَرَقِّيها.

فالأرض خلقت قشرتها على هيئة صفائح[١] وجبال، تعملان على استقرار الحركة السطحية وعدم تدمير إنشاءات الإنسان عليها، وحول الغلاف الجوي للأرض طبقة الأوزون الحامية من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، وأغلفة الطبقات الجوية للحماية من النيازك، وغلاف مغناطيسي للحماية من الجسيمات المشحونة المقذوفة من الشمس تجاه الأرض.

---

[١] هي المعروفة جيولوجيا باسم الصفائح التكتونية.

"أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا{٦} وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا{٧}" النبأ٧٨

وهناك أيضا أعداء للحياة من الحياة نفسها، مثل الحيوانات المفترسة والميكروبات والفيروسات، فأوحى الله في نفس كل كائن الوسائل والنظم الدفاعية المناسبة لكل حالة.

"... وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ.." ١٢ فصلت٤١

وكلمة (حِفْظًا) معطوفة على المنصوب لأنها منصوبة، وأقرب منصوب مناسب لها كلمة (أَمْرَهَا) المفعول به للأمر (أَوْحَىٰ)، فيكون المعنى هو: وأوحى في كل سماء أمرها وحفظا، وإنما كان التأخير لبيان الترتيب، فإيحاء الحفظ جاء في الترتيب بعد مبدأ الجمال والزينة.

***

تم بحث مبادئ الخلق التسعة

بسم الله الرحْمَٰنِ الرحيم

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ{١٩٠} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ{١٩١} رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ{١٩٢} رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ{١٩٣} رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ{١٩٤}" آل عمران٣

"وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ{٢٧} أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ{٢٨} كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ{٢٩}" ص٣٨

صدق الله العظيم

***

مما سبق اعلم أيها الإنسان الذكي أن التفكر في خلق الأكوان يقود إلى أن الله الخالق المبدع لن يسمح بأن يبقى الناس على ظلمهم الذي يقاسي منه بعضهم من بعض؛ دون إقامة العدل المطلق؛ بمنظومة لا تدع مثقال ذرة دون تقييم، والتي عن طريقها يُوفى كلٌّ بما عمل؛ وتُشفى صدورُ المؤمنين الصالحين غير المشركين، ولننتقل معا لنستنتج بعض التصورات باستقراء المبادئ التسعة السابقة ومعها مشاهدات <**داروين**>، ومنها نظرية الخلق الشاملة وهي: **نظرية الترقي الشامل بالتنزيل**.

الباب الثاني

↕

التصورات

الفصل الأول

التصور الشامل للإنسان والبيئة والمجتمع ومآله في الآخرة في ضوء المبادئ التسعة السابقة

*) الذرة ومحتواها حتى أبسط صورها وهي ذرة الهيدروجين بها تصميمات كاملة لجميع الخلائق بجميع خصائصها وعلاقاتها ببعضها، من عناصر ومواد وأحياء حتى الإنسان، وكائنات غير مرئية، وسجلات مع آليات مصنِّفة للأعمال، وبها آليات أو منظومات مسئولة عن عمليات التنزيل من هذا المخزون إلى حيز الواقع أو التنفيذ، هذا التنزيل يحدث بواسطة إيعازات مرتبطة بالشكل البيئي والظرف البيئي، مما ينشأ عنه تكوين كافة البدائل التي ينشأ عنها كل الأكوان المتداخلة وما فيها من كائنات وعلاقات وتصريفات.

*) تَرَقِّي الكائنات منشؤه التنزيل من الذرة عندما تتاح الظروف البيئية المناسبة لذلك، حيث تشكل الظروف البيئية ما يسمى بالإيعاز، ومن أمثلة هذا التنزيل على مستوى العناصر هو عنصر الحديد (Fe) وإيعاز التنزيل له هو ارتباط ٢٦ بروتون معا وعدد آخر من النيوترونات اختلاف عددها يحدد نظائر الحديد، وعلى مستوى المادة هو الماء وإيعاز التنزيل له هو ارتباط ذرتي أيدروجين (H) مع ذرة أكسيجين (O) واحدة، وعلى مستوى الأحياء هو المواد العضوية وإيعاز التنزيل لكل منها هو عدد ونوع العناصر الداخلة في التكوين وشكل ارتباطها، ثم تعقدها للتكاثر الذاتي، ثم الخلية الحية، ثم تنزيل {**الأطقم النوعية للترقي**} لأنواع[1] جديدة.

*) شُكِّلَ **الكون الأولي** وما ينجم عنه من سبعة **أكوان متعددة ومتداخلة ومتناظرة، وينبثق عنها أكوان عليا** تنشأ لغرض حساب المكلفين في **الأكوان السبعة**.

نتصور الكائنات في الأكوان العليا أنها نشأت **بدون أنساب** "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ{١٠١}" المؤمنون٢٣، **وجنس واحد** " ..ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ ..{٤٦}" الأعراف٧، ويُنشأ له **الجنس الآخر نشأة جديدة** "إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ

[1] النوع هو وحدة الارتقاء في الكائنات الحية، **والطاقم النوعي** يبدأ بميلاد أنثى لنوع جديد لأبوين من نوع قديم؛ لهذه الأنثى خاصية الحمل الذاتي ويكون حملها ذكرا من نوعها الجديد، ليكونا أول أسرة لنوع جديد.

إِنْشَاءً{٣٥} فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا{٣٦} عُرُبًا أَتْرَابًا{٣٧} لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ{٣٨}" الواقعة٥٦، تذوب أو تختفي فيه العواطف الحالية لتُصب في قوالب جديدة تتناسب مع تصنيف العمل وتقييمه.

*) مبدأ الحساب في الأكوان العليا مأخوذ من مبادئ التشريع في الأكوان السبعة.

*) تكوينات النفس المكلفة من قلب وفؤاد ونفس لوامة وذاكرات وغيرها تؤدي إلى ظهور الشخصية في خصوصها وعمومها.

*) ظهور الكائنات الحية، في كيانات محددة وليست مختلطة، وفي هيئة جميلة، وبعلاقات بينية منظمة ومتوازنة مع البيئة، وشواهد أخرى، كل هذا يوحي بأن المصمم واحد لتوحد هدفه وهو الله سبحانه وتعالى، والتنفيذ تم في هيئة سببية وتحت مظلة كافة المبادئ التسعة للخلق.

ومع ما سبق من ملاحظات وشواهد ومن بعض علوم الذرة، ونشأة الكون والنظريات الحديثة التي تحاول تفسير الظواهر التي يرصدها العلماء عن طريق أحدث التليسكوبات الفضائية، والتي تنشر في المجلات العلمية ومنها مجلة العلوم الأمريكية المترجمة في الكويت، ومن العديد من الكتب التي يتكلم مؤلفوها في الباراسيكولوجي والقوى الخفية، ومع ملاحظاتي الخاصة عن ظاهرة الرؤى والتأثيرات الخاصة جدا، استخلصت نظرية **الترقي الشامل بالتنزيل** والتي صُبَّت في قالب تلك المبادئ التسعة التي استنتجتها بالتحليل المنطقي لعدد من آيات القرآن في سورة فصلت وهي:-

١-التصميم الهادف المرحلي المدون السابق للخلق التنفيذي ٢-الخلق الدوري ٣-الخلق الحتمي ٤-الخلق السببي ٥-الخلق المتعدد التداخلي ٦-الخلق المرحلي ٧-الإدارة الذاتية ٨-الجمال والزينة ٩-الحفظ والتوازن الذاتي.

من المبدأ الأول يتبين أن الله سبحانه وتعالى قد صمم جميع الكائنات من عناصر ذرية ومركبات كيميائية وكائنات حية وحيوانات من كل نوع، وصمم العلاقات التي تربط بين كل هذه الكائنات والكائنات التي تسجل وتصنف أعمال البشر، تصميما كاملا، وصمم موازين ونظم حاكمة لهذا الخلق، الهدف منه توفير البيئة المناسبة لوجود المخلوق المكلف وهو الإنسان، الذي سوف يأتي في آخر سلسلة الخلق التنفيذي، ليجد جميع ما يحتاج إليه من مأوى ومياه وملبس ومأكل، وتشريع يهدف لصيانته وتطهيره، وهذا التصميم تم على مراحل عددتها الآيات ٩، ١٠ في سورة فصلت رقم ٤١، وقد كتب الله سبحانه وتعالى هذا التصميم في سجل أسماه [**أم الكتاب**] "وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ{٢} إِنَّا

جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ{٣} وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ{٤}" الزخرف٤٣، ووضع معه آلية أو منظومة تتولى تلقي الإيعازات البيئية وتستجيب لها بالتنزيلات المناسبة، هذا السجل تم نشره في جميع ذرات الوسط الأولي للخلق التنفيذي، وهو غاز الأيدروجين ثم الهيليوم، في تلك المرحلة نجد أن كل التصميمات في حالة كمون إلا الأيدروجين والهيليوم، هما التصميمان فقط اللذان أصبحا في حالة الأداء.

والمبدأ الثاني يبين ويؤكد على دورية الخلق، فنجد أن للماء على الأرض دورة حيث يتبخر من أسطح البحار والمحيطات ليكون سحابا ثم يتساقط أمطارا على المناطق المرتفعة ليسير في أنهار ليُتم دورته إلى البحار مرة أخرى، والأكسيجين وثاني أكسيد الكربون لهما دورة، وهكذا النيتروجين وكثير من الأشياء، والكون نفسه له دورات من نشأة وفتق ثم تجميع ورتق ثم نشأة وفتق ثم تجميع ورتق وهكذا، وكل دورة عبارة عن حلقة كونية مكونة من سبعة أكوان متكافئة لطيفة متداخلة ينطبق عليها المبادئ التسعة في النشأة، تستمر هذه الحلقات نشوءًا وتجميعا إلى الأبد، مؤدية إلى دوام الأكوان في كليتها، وإن كانت متبدلة الأجزاء والحلقات، فالشموس لها أعمار محسوبة، عندما ينتهي هذا الأجل ينتهي معها كل المجموعة التابعة لها من أراضٍ وأقمار وكائنات، ويترتب على انتهاء أجل الحلقة وتجميع ورتق مكوناتها إلى نشوء عدد مماثل من الأكوان العلا دائمة الوجود التي يعاد فيها إحياء موتى الحلقة الزائلة؛ ويتم مجازاتهم في تلك الأكوان، وتظل هذه الأكوان العلا دائمة وإن كان بها دورات تبديل داخلية لمكونات كائناتها "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا{٥٦}" النساء٤، وبدوامها يخلد من فيها.

والمبدأ الثالث يؤكد على حتمية الخلق ويدحض النظريات التي قالت بأن هذا الكون إنما خلق مصادفة، وقالوا بأنه كان من الممكن ألا يكون هناك ذرات أيدروجين كافية لبدء وجود مجرات وبالتالي شموس عند بدء النشأة الأولى.

والمبدأ الرابع الذي يؤكد سببية الخلق، يحسم جميع الخلافات المذهبية، ويدحض فلسفة اللاسببية والتي نادى بها البعض من الشرق والغرب، والنظريات التي تخلط بين السببية واللاسببية، وعلى رأس

الذين نادوا بمبدأ اللاسببية هما <**الإمام الغزالي**> و<**ديفيد هيوم**>[١]، والخلط هو الاعتراف بالسببية إلا من بعض الظواهر، كظاهرة خلق آدم وعيسى عليهم الصلاة والسلام، ولما حسم هذا المبدأ هذا الخلاف فإنه يفسر جميع الظواهر غير الطبيعية تفسيرا سببيا، وسبب عدم وضوح أسبابها هو عدم العلم الكافي من الإنسان لتفسير الظاهرة تفسيرا سببيا، أما الركون إلى التفسير اللاسببي هو استسهال الشرح والركون إلى الأسهل وغياب العلم بالأسباب، ومبدأ السببية يدفع المؤمنين به إلى البحث واستعمال المنطق لفهم طبيعة الأشياء، وقد أمر الله بالبحث والنظر للوصول إلى حقيقة بداية الخلق، ولو كان المبدأ معكوسا لنهى الله عن البحث والنظر لأنه لن يجدي حيث تنقطع النتائج عن أسبابها، ولكن كل آيات القرآن تعضد الفكر والبحث وتمجد العلم والعلماء، وبالتالي تنتفي فكرة انقطاع النتائج عن أسبابها التي هي اللاسببية ويتأكد مبدأ السببية.

والمبدأ الخامس يبين أننا لسنا في كون واحد ولسنا وحدنا المكلفين، ولكن يوجد غيرنا من المكلفين كثيرون، ويوجد من الأكوان ستة تشبه وتكافئ كوننا في كل شيء، والسبعة متداخلون في {**الحيز العام**}[٢] ولا يشعر كل منهم بالآخرين.

والمبدأ السادس يؤكد على فكرة النشأة المرحلية، أي مرحلة تلو أخرى أيا كانت فترة المرحلة قصيرة أو طويلة زمنيا، وهناك مراحل خاصة بالتصميم ومراحل أخرى خاصة بالتنفيذ.

والمبدأ السابع يبين أن كل كون يدير ذاته، وأن هذه الإدارة أوحاها الله في وسط مادة الخلق، فكل القوانين التي يكشف عنها الإنسان والتي تعمل على ربط حركة الأجرام السماوية ببعضها هي من وحي الله، أودعها داخل المادة لتصبح في مجموعها منظومة دقيقة لإدارة الكون ومكوناته ومخلوقاته، إلى آخر مرحلة من وجوده المقدر.

---

[١] حيث قالا بأن ما نطلق عليه "مبدأ السببية" هو في حقيقته غير موجود في العالم الخارجي، وإنما هو مجرد عادة عقلية فقط، وأن تعاقب بعض الظواهر في ترتيب معين لا يعني بالضرورة أن الظاهرة السابقة هي سبب حدوث الظاهرة اللاحقة، وتكرار الحدوث هو الذي جعلنا نعتقد في مبدأ السببية بالخطأ، وقال الغزالي بأن النار لا تحرق أحيانا مشيرا إلى حادثة محاولة حرق الخليل إبراهيم وامتناع النار عن حرقه.

[٢] [**الكرسي**] الذي يشمل كل الأكوان.

والمبدأ الثامن يظهر أن الجمال والزينة التي تسربل الكائنات ليست وليدة صدفة، وإنما هي من صنع الخالق عمدا وتصميميا كما جاء في المبدأ الأول، وهذا رد على بعض الآراء، ومحو لتعجب بعض الباحثين، وتقويم لبعض النظريات التي تجاهلت زينة الخلق وجماله.

والمبدأ التاسع يبين أن الله سبحانه وتعالى أوحى في كل كون آليات خاصة لحفظه وحفظ الحياة عليه، مثلما اكتشف الإنسان طبقات الغلاف الجوي والغلاف المغناطيسي واللذين يقومان بحماية كوكب الأرض من الأشعة الضارة والجسيمات المشحونة المقذوفة من الشمس وأيضا الشهب، وآليات حفظ التوازن البيئي لحياة الكائنات على الأرض دون اختلال، ونجد أيضا في أجسام الكائنات الحية آليات للدفاع عن الجسم ضد الغزو الفيروسي والميكروبي والطفيلي، وآليات نفسية للدفاع ضد غزو النفس من فكر أو عقيدة فاسدة أو إيحاءات شريرة.

ونجد أن المبادئ مرتبة ومبدأ السببية هو رابعها إذ يؤدي دوره قبل ظهور المادة الأولية، مما يوحي بأن جميع حلقات الترقي الخَلقي تابعة له، لتصبح جميع حلقات الدورات سببية، ومن ضمنها ترقي الحياة ونشأة الإنسان بظهور أول أسرة بشرية، وهي أسرة آدم وزوجه.

الفصل الثاني

نظرية الترقي الشامل بالتنزيل

*) **تم تصميم كافة الكائنات** تصميما مرحليا مصنفا هادفا قبل إيجاد أي منها على مستوى الأداء، هذا التصميم شمل ذرات العناصر ثم المركبات ثم العضويات ثم الأحياء وارتقائها حتى الإنسان وعلاقاته بالبيئة والخير والشر والقوى المعلومة والغيبية، وشمل أيضا منظومة التنزيل، وشمل نوعان من الأكوان النوع الأول حلقات زمكانية كل حلقة مكونة من سبعة أكوان متكافئة تماما تنشأ معا بفتق، وتتوازى معا في تداخل لطيف، وتنتهي معا برتق، ثم تعود لتنشأ وتنتهي في حلقات زمكانية متتابعة إلى الأبد، والنوع الثاني الأكوان العلا وهي تنشأ مع انتهاء كل حلقة من حلقات الأكوان السبعة بناء على معلوماتها المدونة والمصنفة التي تنتقل إلى الأكوان الجديدة[1]، وتتزايد أعدادها مع كل انتهاء للحلقات من النوع الأول، وتتداخل مع النوع الأول بلطف أيضا، وكلا النوعان لا يمكن القول بأن أيا من أفرادهما بعيد مكانيا عن الآخرين. ومع كل تصميم لأي كائن توجد معه خصائصه الفيزيائية والكيميائية والنووية، وارتباط هذه الخصائص بالبيئة من درجة الحرارة وضغط الهواء وبالزمن وبالسبب الذي سينشأ وفقا لوجوده وغيرها. وتم تسجيل هذه التصميمات في وسط عام منيع تكون الذرة دليلا عليه أو تحمل في داخلها نسخة منه.

*) **يتم توزيع هذا التصميم أو نشره أو نفخه أو بثه من الوسط العام أو {الحيز العام} المنيع إلى جميع ذرات العنصر الأولي** الذي ينشأ منه كل كون من النوع الأول، في المراحل الأولى وهو الأيدروجين المكون من بروتون واحد في النواة وإلكترون واحد في مدار حول هذا البروتون، وبذلك فإن ذرة الأيدروجين بما تحتوي على جميع التصميمات والخصائص لجميع الكائنات تشبه الخلية الحية التي تم تلقيحها توا بما تحتوي على جميع مورثات الكائن الحي، وبالتالي فعلى عاتق الأيدروجين عبء إنشاء كون كامل بفكرة [**التنزيل**] آليا.

---

[1] ذكرت مجلة العلوم الكويتية مجلد١٩ عدد ديسمبر٢٠٠٣ أن كشفا علميا مثيرا في نظرية الأوتار يعرف باسم (تقابل) يشير إلى أن الثقالة الكمومية بحد ذاتها واحدية، وهذا يعني أن الثقوب السوداء لا تتلف المعلومات، بل تنقلها إلى مكان آخر.

*) **[التنزيل] يحدث بإيعاز أو بتحريض من البيئة بالتآثر مع الكائن**، مثل تنزيل خصائص الهليوم بمجرد وجود ٢ بروتون في النواة، وكلما ارتقيت بالعدد الذري في الجدول الدوري للعناصر وجدت عنصرا جديدا له خصائص محدِّدة له.

يعتبر الماء نموذجا مثاليا لهذا **[التنزيل]** على مستوى المرَكَّبات الكيميائية، إذ يمكن تركيبه وتحليله بسهولة، فبحرق الأيدروجين تتحد ذرة أكسيجين مع ذرتين من الأيدروجين، ويعتبر هذا التراص للذرات الثلاث إيعازا أو تحريضا لحث **آلية التنزيل**[١] لإخراج خصائص الماء الفيزيائية والكيميائية لحيز الأداء، التي تظهر فجأة، ولا يمكن التنبؤ بها من خلال خصائص عنصري التكوين وهما الأيدروجين والأكسيجين، اللذين تختفي خصائصهما فجأة. وإذا قمت بتحليل الماء كهربيا، تظهر ذرات عنصري الأيدروجين والأكسيجين وتختفي جزيئات الماء، وتختفي خصائص الماء فجأة وتظهر خصائص عنصري الأكسيجين والأيدروجين مرة أخرى، وهذا الظهور والاختفاء الفجائي للخصائص هو الدليل على وجودها كتصميمات مسجلة داخل الذرة، وظهور مثل هذه الخصائص لأي تشكيل ذري أو جزيئي يرتبط بالبيئة، مثل درجة الحرارة والضغط، مما يجعل هذه الخصائص دوالا[٢] لهذه المتغيرات البيئية، مما يعطي تنوعا كبيرا في الخصائص يفيد الأحياء على الأرض، مثل تغير الخصائص الفيزيائية للماء عند تغير درجة الحرارة، فأعلى كثافة للماء تحدث عند درجة ٤ مئوية، مما يجعل أحياء البحار في أمن من تجمد الماء عليها فلا تموت، حيث يطفو الجليد الأقل كثافة على سطح الماء الأعلى كثافة. وارتباط تجمده بالضغط الجوي يجعل قمم الجبال مخزنا طبيعيا للمياه العذبة اللازمة لإعاشة الأحياء عليها وفي الوديان.

حدث في المواد غير العضوية والعضوية مثل ما حدث مع الماء، إذ تعتبر التشكيلات الذرية للمادة إيعازا **لآلية التنزيل** لإظهار خصائص وآليات منبثقة تؤثر في بناء تشكيلات جديدة من المواد موجهة من قبل هذه الآليات لأهداف محددة[٣]، وبتكرار التشكيل الذري وما يتبعه من تنزيل خصائصه التي تعمل على إيجاد تشكيلات أخرى لها خصائص جديدة، يحدث ما يشبه السلم، ترتقي عليه المادة

---

[١] آلية التنزيل هي مجرد {**صورة علمية**} لا يعلم العلماء عنها أي شيء حتى الآن. راجع المقدمة.

[٢] الدالة هي المتغير التابع لمتغيرات مستقلة، مثل وصول المياه إلى داخل المنازل يعتبر دالة لتعرج المواسير في الشوارع حتى داخل كل منزل وبالتفصيل الذي صممه صاحب المنزل.

[٣] مثل إنشاء جينات خاصة بتكوين أنسولين بشري يختلف عن الأنسولين الخاص بباقي الكائنات الأخرى.

وخصائصها بالتنزيل المتتابع المتآثر مع بالبيئة، حتى تنزيل المادة العضوية القابلة للتكاثر، وارتقائها بنفس الفكرة حتى الخلية الحية والكائن الحي معقد التكوين.

تقوم آليات خاصة في الجينوم بإخراج أو بتكوين جزيئات جديدة؛ استنادا إلى التصميمات المسبقة المسجلة في الذرة؛ عندما يتأتى الظرف البيئي المناسب مع وجود الكائن المناسب للارتقاء، ويتوالى تنزيل الآليات الجديدة بالتتابع مع الجزيئات الجديدة لتنشأ أنواع جديدة.

*) في الكائنات التي تتكاثر جنسيا –وربما ما قبلها أيضا بشكل ما– يحدث ما يسمى **بتنزيل الطاقم الراقي**، في وجود **الإيعاز البيئي** المناسب للترقي **والأم المناسبة** لذلك، حيث تظهر آليات خاصة بالتجديد لتغيير مورثات خلية جنسية لتنتج بويضة خاصة (أو حيوان منوي وعلى العلم دور الكشف عن أيهما هو سبب التغيير) لنوع جديد مخالف لنوع الأباء وتلقح هذه البويضة، ثم ينشأ جنين عندما ينمو ويولد فيبدو كأنثى، ولكن مورثاته ليست كالأنثى العادية، وعندما تصل إلى سن البلوغ تكون قادرة على الحمل الذاتي، ويكون حملها ذكرا، يولد الذكر من نفس النوع الجديد، يشكل الذكر والأنثى الأم معا أول أسرة للنوع الجديد، حيث تحمل الأنثى وذكرها كل التباديل الوراثية لكل الضروب أو الأنسال المحتملة لهذا النوع لينشأ من نسلهما ضروبا عديدة يتوافق كل منها مع ظروف بيئية خاصة، مثل ما حدث في الإنسان مع آدم وزوجه، حيث شبه الله سبحانه وتعالى خلق عيسى بخلق آدم.

"إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ{٣٥} فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ{٣٦}" آل عمران٣

"إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ{٥٩} الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ{٦٠}" آل عمران٣

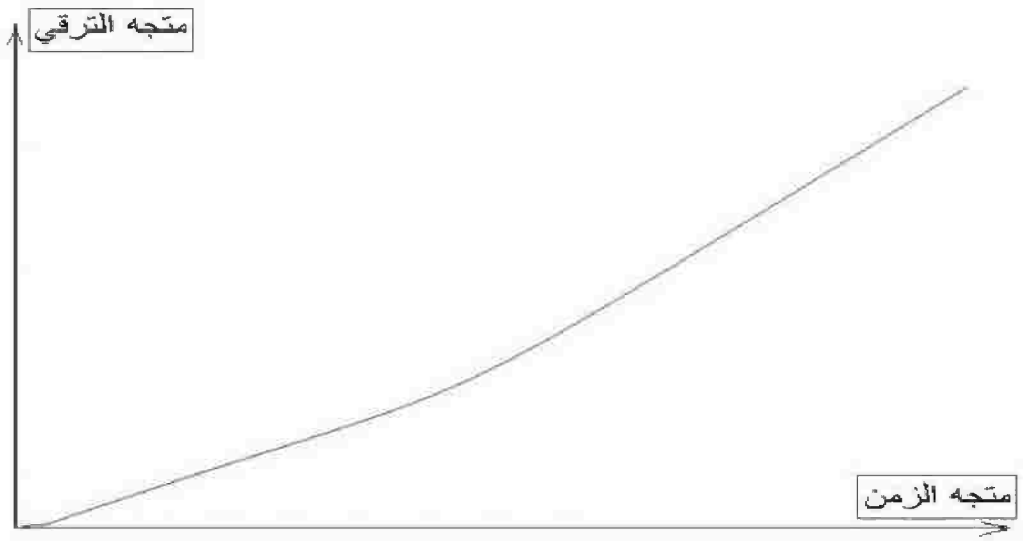

شكل توضيحي يبين الارتقاء الناعم المترقي دوما كما يصوره داروين

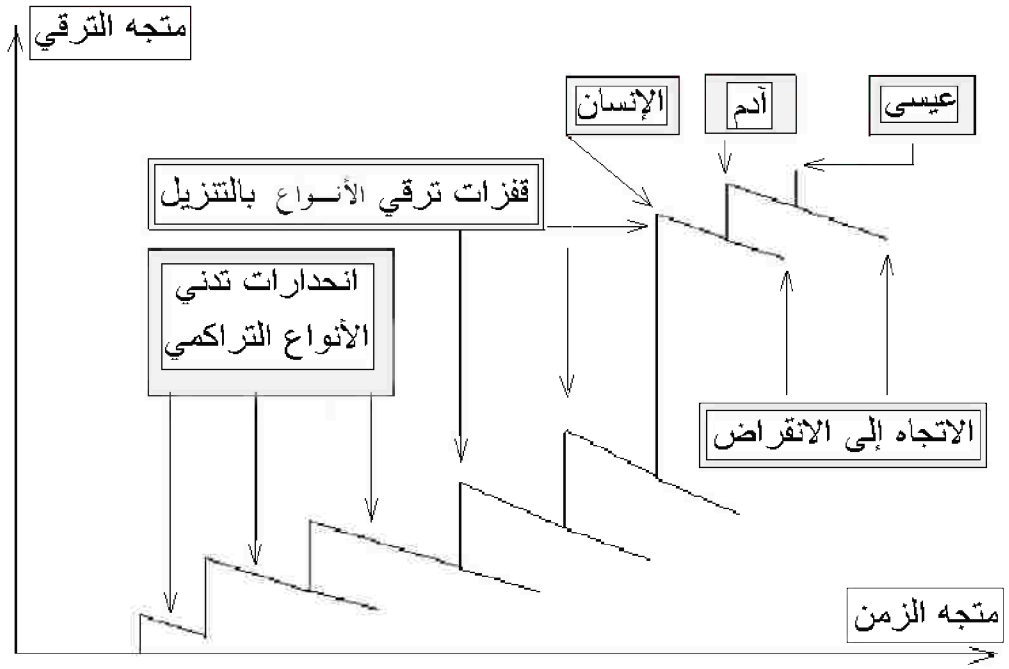

شكل ٧ نظرية داروين في الأعلى ونظرية الترقي الشامل بالتنزيل في الأسفل

في شكل٧ لاحظ الفرق الجوهري بين نظرية داروين ونظرية الترقي الشامل بالتنزيل التي تبين أن الترقي قافز وتتدنى الأنواع دوما

==========

يعتبر الآدميون هم قمة الترقي ولن يأتي منهم ما هو أرقى، حتى لو تكررت الآلية السابقة، فالابن لن يتزوج أمه التي ولدته هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الله سبحانه وتعالى قرر أن الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم. ويبدو أن الله قد طهر مريم الصديقة العذراء وراثيا ونفسيا وجسديا، بهذه القفزة الراقية، وبالتالي ابنها المسيح عيسى.

*) **وبالرجوع للمبادئ السابقة وتأكيدا لها، وخاصة المبدأ التاسع القائل بالحفظ والتوازن الذاتي، حدث أن أنزل الله سبحانه وتعالى من نفس المصدر تشريعا فطريا**، موزعا على أنفس جميع أفراد ضروب أو أنسال النوع الآدمي ذكورا وإناثا، وهذه القواعد الفطرية تحكم السلوك البشري إن احتكم إليها الفرد، لضمان معيشة الأفراد في مجتمعات منظمة، تُصلح من شأن البيئة والمجتمع، ولا يعتدي بعض أفراده على البعض في ممتلكاتهم أو أعراضهم أو أجسادهم، ولا يؤذي الفرد نفسه في سلوك شاذ أو مأكل ضار، ولكن لأن الإنسان ينحرف بمجتمعه عن هذه [**الفطرة**]، فقد كان ضمن التصميمات المذكورة في البند الأول، **آليةً** تعمل على تنزيل كتب تشريعية على رسل من البشر لهم صفات أخلاقية كاملة فلا يكذبون ولا ينسون ولا يضجرون، وكلما تجاهل الناس رسالة، جاءتهم مرة أخرى على رسول آخر [**بالتنزيل**]، وإيعاز تنزيل الكتاب الإلهي له ملاك خاص هو **جبريل الأمين**، وآخر التنزيلات من هذا النوع هو **القرآن المجيد**، الذي أنزل من مصدره الأصيل بواسطة **جبريل الأمين** على آخر نبي بشري على الأرض وهو الرسول الصادق الأمين <**محمد بن عبد الله بن عبد المطلب**>، صلوات وسلام عليه.

*) **يتم تسجيل أعمال البشر تسجيلا مرقوما مصنفا داخل قسم خاص في الذرة** فهي تحتوي على ذاكرة هائلة تسمح بتسجيل كل شيء حتى نهاية الحلقة، هذا التسجيل والتصنيف يتم بواسطة **منظومة أمينة**، فالأعمال الموافقة لإصلاح النفس والبيئة والمجتمع تسجل في كتاب اسمه "**عليون**"، والأعمال غير الموافقة لإصلاح النفس والبيئة والمجتمع تسجل في كتاب اسمه "**سجين**"، ثم عندما تنتهي الحلقة الكونية بما أسماه الله **يوم القيامة**، تنتقل الكتب الرقمية المصنفة **عليون وسجين** من وسط الحلقة المنتهية إلى وسط أكوان أخرى غير **الأكوان السبعة**، تسمى **الأكوان العلى**، والتي تتزايد أعدادها إلى مالا نهاية كلما تزايدت حلقات الأكوان السبعة، ثم تدخل هذه الكتب في تكوين أجسام المبعوثين للحساب، ليكون **الحساب ذاتيا** "اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا{١٤}" الإسراء١٧، **والنشأة بلا أنساب أو تناسل** وبلا **ذكورة أو أنوثة**، فيصبح الثواب والعقاب نسبيا "قَالَ ادْخُلُوا فِي

أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ{٣٨}" الأعراف٧، ومبنيا على الأعمال بشكل كامل وبلا أدنى تفاوت، ويخلد كل فرد في درجته، ويخلق الله **الحور العين خلقا جديدا**، ثوابا للخالدين في النعيم، **جنسا مكملا للجنس الواحد** الذي كُتب له النعيم.

والحياة الآخرة لها بعض الخصائص التي ذُكرت في القرآن كالآتي:-

١- نسبية الشعور:-

*) في الزمن المقطوع بعد الموت وقبيل البعث، حيث يكون شعور المبعوث بأنه قضى بعض الوقت كما كان يشعر مع النوم، فيكون الشعور العام لديه هو اتصال الحياة كما اعتاد في الدنيا، فهو اعتاد أن ينام ويستيقظ ثم ينام ويستيقظ ثم يموت ويستيقظ بنفس الوتيرة الشعورية، والذي لا يشعر نهائيا بفترة الموت هو الشهيد، هذا الشهيد يصبح شعوره متصلا، فور بعثه في الحياة الآخرة.

*) في النعيم أو العذاب حيث الدرجات المتفاوتة؛ دون شعور الآخرين مع قربهم وتحاورهم "وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ{٥٠}" الأعراف٧.

٢- تصريف الرؤية والأبصار والحوار:-

*) بين أهل الجنة وبين أهل النار، حيث يطلب أهل النار من أهل الجنة بعض الماء أو الرزق وأهل الجنة يردون عليهم بأن الله حرمهما عليهم.

*) بين رجال الأعراف[١] وبين أهل الجنة وأهل النار، حيث يطمعون في مثل ما يرون لأهل الجنة، وعندما تُصرف أبصارُهم تلقاء أهل النار يحمدون الله على ما هم فيه "..۞ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ{٤٦} وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{٤٧}" الأعراف.

٣- تدوير أعضاء الجسم عند تلفها كما يحدث لجلود أهل النار:-

[١] هم الذين يكونون في درجة وسط بين الجنة والنار فهم لا يعذبون ولا هم ينعمون.

*) حيث يقول جل وعلا بشأنهم أنه كلما نضجت جلودهم بدلهم جلودا غيرها "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا{٥٦}" النساء٤.

الفصل الثالث

الدِّين وفلسفة الحرية[١]

القرآن مثله مثل الكتب المنزلة السابقة، ينقذ الإنسان من الضلال والتشتت في الوقت المناسب، ويكشف له الطريق الذي يجب أن يسلكه.

وكما وضع الله للخلق مبادئ وضع للناس مبادئ تشريعية، ووضع بعض الأمثلة الهادية التي يجب أن تُحتذى.

وإذا كانت **الفلسفة هي التي تحدّد للبحث العلمي مساره**، فإنّ علوم القرآن هي **تقنين الفلسفة**.

تقنين أقوال الفلاسفة والمتكلمين فيما يختص بمسألة الحرية[٢]

أولا: أقوال الفلاسفة الغربيين:-

١- **خصائص فلسفة <ديفيد هيوم>:-**

النظرة الآلية الحسية للمعرفة.

أ- *الضرورة الحسية المادية تتحكم في الفكر المعنوي في العقل* (النفس)، *ومن قانون تداعي المعاني انتهى إلى "لا سببية الأحداث"* مثلما قال <**الإمام الغزالي**> .

ب- *الفعل الإنساني آلي ولا توجد إرادة حرة بل إرادة خاضعة لظروف الجسم والإدراك والعالم الخارجي.*

ج- وصف [الإرادة] بأنها *غير حرة لأنها نتائج حتمية لعلاقات ضرورية بين البواعث مثل الجوع والعطش وبين الأفعال مثل السعي وراء الرزق.*

---

[١] كما وردت في الكتب المدرسية.

[٢] انظر تعريف تعبير "الدين" وتعبير "الإرادة" في التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم.

مميزات فلسفة <هيوم>:-

وصَفَ العجز البشري وصفا جيدا -وإن كان لم يُسمِّهِ كذلك- من خلال القيود الحتمية في النشأة المتمثلة في القوانين الوراثية، وقوانين الحركة التي يدار بها الكون وحتمية وجود الأجرام السماوية في أفلاك لا يمكنها تعديها، وظواهر السلوك الإنساني المقيد بالتغيُّرات الحيوية في الجسم كالرغبة في الطعام والشراب والنوم والجنس، وغير ذلك من قوانين لها صفة الحتمية.

وأُعلِّق على فلسفة <**هيوم**> بأنه على المؤمنين بالله سبحانه وتعالى أن يدركوا أن العجز يجب قهره بقدر المستطاع ويجب تذليل كل الخلق للإنسان فكل شيء مسخر للإنسان وعليه أن يلبي لنفسه رغباتها في إطار عدم الاعتداء على الآخرين، وإلا فقد أساءوا لمجتمعهم ويعاقب الله على هذا التقاعس والتكاسل أو التعدي.

سلبيات هذه الفلسفة:-

عندما نقارن أقواله بما جاء في تعريف تعبير "**الإرادة**" وتعبير "**العجز**" و"**المعجزات والخوارق**" و"**الاختيار والجبر**" في **التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم** نجد أنه **وصف العجز** فقط وخرج منه على أنه "**مبدأ الجبرية**"، وساوى في نظره بين الإنسان وبين المخلوقات الأدنى منه[١]، ونفَى حرية الإنسان في إرادته الواعية بينما تأكدت في [**الفطرة**] وفي **التنزيلات الإلهية** ونفَى مبدأ السببية الذي هو المبدأ الرابع من مبادئ الخلق التسعة للأكوان السبعة.

٢- خصائص فلسفة <كارل ماركس> و<فريدريك إنجلز> و<لينين>:-

أ- ظهور دكتاتورية البروليتاريا (العمال) والإجبار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي بغرض توزيع الإنتاج على الجميع.

ب- المادة فقط هي الموجودة والظواهر الأخرى من مظاهرها، أي لا وجود للغيبيات.

ج- جميع مظاهر الحياة الاجتماعية السامية من منشآت جميلة وفنون وآداب وعلوم هي جميعها نتاج حتمي للحالة الاقتصادية.

---

[١] انظر الجدول المبين لتفاعل الإرادات في تعريف تعبير "الإرادة"

د- *أحداث المجتمع تقع وتتطور حسب قوانين موضوعية حتمية ثابتة، ولا يمكن للفرد أن يؤثر فيها أو يغير مجراها، لأن الفرد وإرادته الخاصة من صنع تلك القوانين وضمن مظاهر "**الحتمية التاريخية**".*

هـ- ***الحرية الفردية** هي دقة تنفيذ القوانين الحتمية.*

مميزات فلسفة الحتمية التاريخية التي أدت لظهور الاشتراكية:-

وصفت هذه الفلسفة كيفية التحكم في اقتصاديات أمة بغرض عدالة التوزيع، وهذا يصلح اختياريا- كمرحلة انتقالية فقط- في حالة الكوارث العامة الضخمة التي يمكن أن تُفني الأمة بسبب الخلل الاقتصادي الشامل الذي يتبع هذه الكوارث بصفة لا يمكن معها تدارك أي إصلاح، على ألا تُطَبق بصفة دائمة على أي مجتمع؛ راجع تاريخ الأمة الإسلامية في الأزمات قبيل الهجرة وما بعدها.

أما وصفهم لحتمية التاريخ فهذا صحيح جزئيا، فالتاريخ هو جانب من القدر الذي لا يستطيع أحد أن يغير منه شيئا، ولكن هناك اختلاف كبير بين مفهوم **القدر** لدى المؤمنين بالله سبحانه وتعالى وبين مفهوم **التاريخ الحتمي** لدى أصحاب هذه الفلسفة، فالقدر غير محسوس والإيمان بذلك مجرد إيمان فقط فالإنسان لا يدرك حسيا أن هناك قُوَى تُسَيِّر فكرَه الواعي والدليل القاطع على ذلك هو ببساطة كفر أو إنكار الكثيرين لله الخالق المبدع، فلو كانوا يدركون أن هناك قوة تسيطر على فكرهم لما أنكروها، ودليل آخر وهو إنكار أصحاب هذه الفلسفة -التي نحن بصدد دراستها- لكل الغيبيات مع أن الغيبيات تظهر أعراض منها بين الحين والآخر ولا يمكن التمادي في إنكارها كظاهرة الرؤى التي تتحقق بالإنذار أو البُشرى والتي تحدث لكثير من البشر دون تمييز بين صالح أو طالح، **والحتمية التاريخية** هي حتمية مادية مرتبطة بالقوانين الثابتة وقد أجادوا الحديث فيها، ولا يمكن للمؤمنين بالله إنكار هذه القوانين كما ينكرون هم **القدر** بمفهومه لدى المؤمنين بالله، فهذه القوانين من قبيل {**البدائل البيئية**} عند المؤمنين وما يضر منها يُعاملونه كما جاء في {**الإرادة التشريعية**} لله.

والتاريخ من المنظور الإلهي هو نتائج التفاعل بين الإنسان وبين بيئته تشريعيا، وهذا الناتج يتبع سببيا الأخلاق التي اتبعها الإنسان في هذا التفاعل، فإذا كان التعامل مع المجتمع والبيئة من خلال مبادئ [**الفطرة**] المؤَكَّدة **بالتنزيلات الإلهية** والتي هي **الأخلاق الحميدة**، فالمجتمع يترقى ويدوم ويتحضر، أما إذا كان التعامل مع البيئة والمجتمع تم من خلال الأهواء الخاصة والاعتقادات الفاسدة النابعة من الذات

والتي هي **الأخلاق الدنيئة** فالنتيجة هي تدهور وفناء المجتمع، والأمثلة التاريخية كثيرة جدا قد ساقتها الكتب المنزَّلة ونرى بأنفسنا بعضا منها في شعوب معاصرة.

سلبيات هذه الفلسفة:-

اعتقادات خاطئة أدت إلى تقييد **الحرية الطبيعية** لدى الإنسان واعتبارها هي المعرفة الحقيقية لظروف المجتمع ودقة تنفيذ القوانين الضرورية التي بالطبع يفرضها الإنسان لمجرد اعتقاده بأنها هي القوانين المناسبة لتلك الحالة، فالإنسان بفطرته يأبى القيود المحدِّدة لحريته وملكيته وحب بقائه حيا في إطار الحفاظ على حقوق الآخرين، وجاءت كل التنزيلات الإلهية التي ينكرونها تؤكد نفس المفهوم.

٣- خصائص فلسفة <جان جاك روسو> وأسس فكره حول الحرية:-

أ- التمرد على رذائل وقيود التقدم الحضاري.

ب- الثورة على الحكم القائم على الحق الإلهي المقدس (باعتبار أن هذا الحق من اختلاق البشر).

ج- الديموقراطية والعقد الاجتماعي للتنازل عن بعض الحرية لضمان السلامة والأمن للمجتمع ككل.

مميزات فلسفة <روسُّو>:-

قد عرَّف الحرية الشخصية وأكد وجودها بأنها هي "**الإرادة الفردية التي تختار الفعل وتميزه عن روية وتدبير، مع إمكان اختيار الفعل أو القدرة على اختيار نقيضه**"، وضرب أمثلة لهذه الحرية في الجسم وميَّز بينها وبين الأفعال التي تحدث حتما كالجوع والعطش وغيرِها، وأمثلة أخرى في النفس حيث الشعور في داخل أنفسنا بأننا نسيطر على أفعالنا بصفة عامة ونوجهها حسب رغباتنا، وكذلك الشعور بحرية الاختيار بين البدائل (مثل أن تأكل الخضراوات أو تأكل اللحوم)، وهذا في حد ذاته لا يحتاج إلى دليل أو برهان لإثباته، ولا مجال لإنكاره، وأيضا ضرب أمثلة من الواقع الاجتماعي حيث أشار إلى ما يسمى باسم "**وسائل الضبط الاجتماعي**" -التي هي القوانين المنظمة والحاكمة لسلوك الأفراد في المجتمع- السائدة في كل المجتمعات وهي تعترف ضمنيا **بحرية الفرد** وضرورة **التحكم فيها** لضمان **سلامة المجتمع** والعمل على **تنمية مصالحه**، وقد أجاد **<روسُّو>** في ذلك خير إجادة.

سلبيات هذه الفلسفة:-

انحصر القول في الحرية {**التشريعية**} و{**البدائلية**}، وموقع هذه الحريات من خريطة تفاعل الإرادات هو موقع ضيق، راجع تلك الخريطة في تعريف [**الإرادة**].

٤- أسباب وخصائص فلسفة <جان بول سارتر> الوجودية:-

نظر <**سارتر**> إلى ما حدث من تقدم وما تلاه من سيطرة الآلة على الإنسان، وضراوة الحروب والخراب، والانهيار الظاهر في الحضارة الغربية بالدعوة إلى اللامعقول، فكان فكره كالآتي:-

أ- *الإنسان حر لأن وجوده أسبق من ماهيته بمعنى أنه هو صانع شخصيته.*

ب- *وبذلك فهو مسئول عن أفعاله ويتحمل نتائجها.*

ج- *المسئولية التي تجعل الإنسان مختارا تصيبه بالقلق حول النتيجة.*

مميزات فلسفة <سارتر>:-

أكد على الحرية التامة للإنسان من حيث وجوده أسبق من شخصيته فهو صانع شخصيته ومتحكم فيها *وهذا من وجهة نظر المؤمنين بالله سبحانه وتعالى يحدث بتمكين مبادئ الفطرة في الطبع فيتم صقل الشخصية في إطار أخلاقي رائع أو عند غير المؤمنين بعدم تمكين المبادئ الفطرية في الطبع فتتشعب الشخصية إلى أنماط غير مهذبة*، كما أكد على مسئولية كل إنسان عن أفعاله حتى نتجنب الفوضى الناشئة عن الحريات غير المسئولة، وبيَّن أن من دواعي الحرية في الاختيار يحدث القلق غير المرَضِيِّ، *والذي يُنظر إليه من جانب المؤمنين على أنه وخز النفس اللوامة للقلب لحثه على تعديل اختياره للبدائل الأقل ضررا والأكثر نفعا.. فكلما تزايدت الخيارات وتقاربت مميزاتها أو أضرارها تزايد القلق.*

سلبيات هذه الفلسفة:-

لم يبين موقع هذه الحرية على خريطة القدر تماما كما فعل <**روسو**>، وانحصر القول حول الحرية {**التشريعية**} و{**البدائلية**} فقط من منظور [**الإرادة**] الإلهية ككل.

ثانيا: أقوال المتكلمين:-

١- ابن رشد:-

انتقاد <ابن رشد> لكل الآراء السابقة:-

أ- **الجهمية** وهم أتباع **<جهم بن صفوان>**: انتقدهم في نسبهم كل أفعال الإنسان للمشيئة الإلهية ليكون الإنسان مجبورا على كل أفعاله حيث تسقط عنه المسئولية ويصبح كالجماد..وقال هذا خطأ.

ب- **المعتزلة** وهم فرقة من الخوارج: انتقدهم في قولهم بأن الإنسان يخلق أفعاله بإرادته الحرة، حتى لا تسقط عنه المسئولية، حيث تتم الأفعال على غير مشيئة الله..وقال هذا خطأ.

ج- **الأشعرية** وهم أتباع **<أبو الحسن الأشعري>**: انتقدهم **<ابن رشد>** في إيجاد **نظرية الكسب**[1] واعتبر أن الوسطية لا وجود لها في الحقيقة، ونفى أن تكون إرادتي في مدِّ يدي لفعل ما مفصولة عن خلق الله للفعل، وتساءل كيف يحاسبنا الله على أفعال نفذناها من خلق الله نفسه؟ وقال بأن المسئولية يجب أن تكون كاملة غير منقوصة.

رأي <ابن رشد> الوسطي:-

*)- فَرَّق بين ما أسماه **الإرادة الداخلية للإنسان** وبين ما أسماه **الظواهر الخارجية في الطبيعة والأسباب**.

*)- قَرَّر أن **الإرادة الداخلية للإنسان** حرة في نطاق **الأسباب الخارجية** المقَرَّرة سلفا من الله على العالم الخارجي.

*)- **العالم الخارجي والأسباب** قدَّرها الله بمشيئته الإلهية ووضع الأسباب والعوائق التي عَرَّفها باسم **القَدَر** وهي تسير وفق نظام محكم ومحدد مقدَّما حسب إرادة الله.

---

[1] نظرية الكسب أن يكون الفعل من خلق الله والتنفيذ بيد الإنسان.

*)- *ربط بين العالَمَيْن (**الإرادة الداخلية والأسباب الخارجية**) بأن أفعالنا وإرادَتنا لا توجد ولا تتم إلا بتوافقها مع **الأسباب المقدرة خارجيا في العالم**، أي أن أفعالنا ترتبط بعاملين أساسيين هما إرادتنا الداخلية والأسباب المقدرة من الله على العالم الخارجي، وارتباط العاملين معا يحققان حرية الإنسان في إرادته دون تعارض مع مفهوم القدر الإلهي.*

مميزات رأي <ابن رشد>:-

أصاب في بعض نقده لمن سبقوه مثل **الجهمية** الذين قالوا بأن كل أفعال الإنسان منسوبة للمشيئة الإلهية ولم يبينوا كيف يتحمل الإنسان نتيجة أفعاله، **والمعتزلة** الذين قالوا بأن الإنسان يخلق أفعاله ولم يبينوا كيف تكون المشيئة، **والأشعرية** الذين خلطوا خلطا غير منطقي.

سلبيات رأي <ابن رشد>:-

بالرجوع إلى التعريفات الاشتراطية لتعبيرات "**الإرادة**"، و"**الاختيار والجبر**" نجد أن قول ابن رشد لم يصف قضية الحرية وصفا حقيقيا، حيث أنه فرَّق بين عالَميْن، هما عالم **الإرادة الداخلية للإنسان** وعالم **الأسباب الخارجية** المعبر عن القدر، وبالرجوع لجدول تفاعل الإرادات نجد أن إرادة الإنسان ليست منفصلة عن إرادة الله إلا على المستوى {**التشريعي**} والمستوى {**البدائلي**}، وبذلك لم يضع الإرادة الإنسانية في موقعها الصحيح على خريطة الإرادة الإلهية ككل، والتي هي في مستويات أربع هي **الإرادة المشيئية والإرادة التنفيذية والإرادة التشريعية والإرادة البدائلية**، وإرادة المخلوقات في أربع مراتب، وهي مرتبة **إرادة السماء الأولية** ومرتبة **إرادة الإنسان**، ومرتبة **إرادة الكائنات الحية دون الإنسان**، ومرتبة **إرادة الكائنات دون الحية والملائكة**[1]، وما ينطبق على [**الإرادة**] ينطبق على الحرية.

وبذلك فلم يفلح <**ابن رشد**> في صياغة الرأي التوفيقي، وخاصة عندما فرَّغ بعضا من لوحة [**القدر**] من قدَرِ الله ونسبها لحرية الإنسان الفكرية بما أسماه **الإرادة الداخلية**، وهذا التفريغ مخالف لمفهوم [**القدر**].

[1] اقرأ عن تعبير "الإرادة" في التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم.

٢- **الصوفيون**:-

كان <**ابن عربي**> من الصوفية ووجهة نظرهم في الحرية ما يلي:-

*- وجوب التحرر من عبودية غير الله.

*- وجوب الخضوع لعبودية الله سبحانه وتعالى.

ومراتب الحرية عندهم كالآتي:-

*- حرية **العامة** من رق **الشهوات**.

*- حرية **الخاصة** من رق **المرادات**.

*- حرية خاصة الخاصة أي **الصفوة المختارة**، والتي تكون حريتهم **هي فناء ذواتهم تماما**، لتتجلى فيها الأنوار الإلهية وينكشف الحق في قلوبهم.

-وإن لم تكن عبدا خالصا لله فأنت عبدٌ لشهوةٍ أو إرادةٍ غير مستحِقَّة للعبادة.

مميزات تصور **الصوفيين** للحرية:-

أجادوا وصف الحرية عندما يعبد الإنسان ربه بلا [**شرك**]، فهي كما قالوا أعلى درجات الحرية، وأي انحراف يمينا أو يسارا عن عبادة الله سبحانه وتعالى الخالصة يتبعها مباشرة نقص في الحرية الشخصية حتى وإن بدا للمنحرف غير ذلك، لأنه كما قال الصوفيون سيصير عبدا لشهوة أو عبدا لإرادة لا تستحق العبادة، وباختصار فعبادة الله سبحانه وتعالى الخالصة تكفل أعلى درجة من الحرية وأقل درجة من القيود على الإطلاق سواء على المستوى الشخصي أو على مستوى التجمعات الإنسانية في أسر أو قرى أو دول أو منظمات أو تجمع دولي عالمي، راجع تعريف تعبير [**الدين**].

سلبيات هذا التصور للحرية:-

بمقارنته بجدول تفاعل الإرادات في تعريف تعبير [**الإرادة**] نجد أنه لا يزيد عن وصف إرادة الإنسان مع {**الإرادة التشريعية**} فقط وهو جانب ضيق من مساحة تفاعل كافة الإرادات.

٣- <محمد عبده>:-

كان <**محمد عبده**> من المصلحين ووجهة نظره في الحرية ما يلي:-

*- الإنسان حر بحكم الشرع والعقل دون الحاجة لدليل.

*- حرية الإنسان ليست مطلقة بل محدودة ومتناهية، هذا بشهادة العقل.

*- حرية الإنسان ليست شركا بالله كما قال الجهمية والأشعرية -*بأن الإنسان لا يقدر على خلق أفعاله لأن الله خالق كل شيء*- وقال <**محمد عبده**> بأن الإنسان قادر على خلق أفعاله حسب إرادته، وقال بأن "**الشرك**" هو الاعتقاد بوجود قوة أخرى غير الله لها تأثير يفوق تأثير قوة الله، وقال بأن "**القضاء**" هو **أسبقية العلم** الإلهي الذي لا يعني القهر والجبر والإلزام، وقال بأن **العلم المسبق** لا يحول دون حرية الإنسان في خلق أفعاله لأن كل ما يدخل في علم الله يتحقق بالضرورة لأنه ما دام عَلِمَهُ الله فهو متفق مع الواقع والواقع لا يتبدل، وقال بأن **العلم المسبق** لا يمنع الفعل ولا يبعث عليه، وقال بأن **التوكل** ليس جبرا واستكانة وإنما ثقة بالله في السعي والعمل بالإرادة والعقل.

مميزات قول <**محمد عبده**>:-

حاول <**محمد عبده**> أن يخلص أبناء جيله من بعض السلبيات العقائدية السائدة بينهم، مثل التواكل باسم التوكل، ونجح في قوله بأن التوكل ليس جبرا واستكانة، وأكد على أن التوكلَ ثقةٌ بالله وسعيٌ وراء الرزق بالعمل والإرادة والعقل.

سلبيات هذا القول:-

جرَّد <**محمد عبده**> قدرة الله سبحانه وتعالى على إرادة الإنسان إلى علم مسبق، لا يقدرُ على منعِ أو بعثِ فعلٍ يريدُ الإنسانُ فعلَه.

وهذا مخالف لجدول تفاعل الإرادات حيث تؤكد الآيات القرآنية على أن {**الإرادة المشيئية**} هي إرادة قاهرة بلا مواربة ولا التفاف في المعنى ولا تحتاج إلى تفسيرات ملتوية.

تعريفاته لبعض المصطلحات هي تعريفات ناقصة أو منحرفة عن التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم، مثل تعريف **القضاء** بأنه أسبقية العلم الإلهي **الذي لا يعني القهر والجبر والإلزام**.

مع أن تعبير [**القدر**][1] يعني تصميمات الأحداث والكائنات تصميما حسابيا وأجليا وترتيبيا وكذلك منظومات تنزيلها، **والقضاء** هو نفسه **القدر** ولكن من منظور الحتمية للفعل الإلهي في إيجاد كائن أو تنفيذ أحداث -كما جاء في **التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن** الكريم-، وهذه المعاني نجدها تنقض المعاني التي ذكرها <**محمد عبده**>.

[1] راجع معاني التعبيرات "القدر" و"القضاء" في التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم.

الفصل الرابع

الدين والحكم والإدارة

[**الحكم**] هو التشريع، والتشريع له مستويات تقسيم عديدة، وليس من العدل تثبيتُ القوانين مع وضع هذه التقسيمات في الحسبان.

تقسيم طبقي أو فئوي فطبقة الأغنياء لها أثر كبير عن طبقة الفقراء اقتصاديا وطبقة العمال المنتجين ومنهم الفلاحون لها أثر إنتاجي أكبر من غيرها بكثير وطبقة الخدمات لها أثر كبير في التصميمات والتخطيط والصيانة والإدارة.

تقسيم إداري فلكل مستوى إداري خطورة مختلفة في الشدة والتأثير على مجريات الأحداث في مجتمع ما فرؤساء العموم كالملوك أو رؤساء الدول أو رؤساء الوزارات أو قواد الجيوش أو رؤساء المجالس التشريعية أو الاستشارية وهيئات التخطيط والرقابة وهيئات آليات التعديل، هؤلاء جميعا لهم تأثير يختلف جذريا عن تأثير من سواهم.

تقسيم جغرافي فلكل موقع جغرافي طبيعة مناخية وبيئية تختلف اختلافا بينا عن الطبيعة المناخية والبيئية لغيره.

تقسيم زمني فلكل أمة طباع وأعراف تتغير على مدى مرور الزمن.

تقسيم مبدئي فهناك مبادئ عامة ومبادئ خاصة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والبيئة.

والله تعالى بين لنا مستويات مختلفة للتشريع فشرع للإماء بتخفيف العقاب لنفس الذنب للحرائر، وشرع لنساء النبي له الشكر والثناء؛ بضعف الثواب وضعف العقاب مقارنة بغيرهن في نفس العمل.

وقد أكد الخالق العظيم بأن [**الحكم**] لله لا لغيره، وقد وضع مبادئَ تشريعية في [**فطرة**] الإنسان، وأكدها وذكَّرنا بها في سلسلة تنزيلات على رسل أمناء، والمطلوب من صائغي القوانين الالتزام التام بهذه المبادئ التي يجب أن **تكتب في الدستور بخط أحمر لا يجب الاقتراب منها بالتغيير**.

أما الإدارة وهي ما وردت في مفهوم التعبير [**أمر**] فقد أمرنا الله أن تكون شورى أي لا تكون جبرية كالحكم، وعلى نواب المرؤوسين أن يقيموا الأوامر الإدارية على مبادئ التشريع ويقوِّموا ما انحرف منها.

الفصل الخامس

الدين والفن

الفنون لغة تعبير عامة؛ سريعة الوصول إلى المتلقي بدفقات كثيفة وقوية؛ وتخترق حواجز أمنية شخصية يصعب أو يستحيل اختراقها من غيرها من وسائل أخرى، ومن هنا فالفن خطير جدا إذا لم يُقنن تقنينا محكما ويراقَب أخلاقيا وأمنيا بأجهزة رقابة على مستوى راق من العلم والأخلاق حتى لا يُكبل ويضمحل أو يتسيب ويتحلل من القيم.

وجميع الأعمال الفنية لها هيكل تظهر به أمام المتلقي ولها جوهر يحتاج من المتلقي قدرا من المجهود الذهني ليصل إليه.

والهيكل والجوهر يجب أن يكونا على قدرٍ من الجودة وجمال الهدف لكي يحوز العمل الفني على استحسان الناقد، ويكون المتلقي في مأمن.

وقد استخدم القرآن الكريم التمثيل والتشبيه والحوارات القصصية والرمزية لتوضيح أفكار معقدة بصورة مبسطة.

بسم الله الرحمن الرحيم

"يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ{٢٦} يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ{٢٧}" الأعراف٧

هذا تعبير رمزي تم فيه وضع التقوى في رمز اللباس، فإذا ما نزعه الشيطان ظهرت المساوئ.. ووضع المنازل والملابس في رمز الريش.. وبين أن لباس التقوى خير من الريش.

وبهذا الترميز يكون التعبير ملخصا ودقيقا جدا ولا يحتاج إلى كثير من الكلمات للتعبير عنه.

واستخدم أيضا الالتفاتات المفاجئة في التعبير، وهي نوع من حث المتلقي للانتباه.. وتحمل في طياتها معانٍ عميقة غير مدونة بحروف.

بسم الله الرحمن الرحيم

"يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ{٢٩}" يوسف١٢

هنا التفات خاطف إلى زوجة العزيز بعد أن كان الخطاب موجها ليوسف، وفيه تنبيه للمتلقي ليكون متيقظا لمسار الحوار.

"بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ{١} أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ{٢} وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ{٣} أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ{٤} أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ{٥} فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ{٦} وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ{٧} وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ{٨} وَهُوَ يَخْشَىٰ{٩} فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ{١٠}" عبس٨٠

التفات المعبر عن المخاطَب والتحدث معه بصيغة الغائب للمبالغة في عتابه، ثم تحويل الحديث إلى صيغة المخاطَب للترفق به مع استمرار العتاب وتدرجه من الشدة إلى الرقة في جمل قصيرة جدا متتابعة تحمل معنى الانفعال.

بسم الله الرحمن الرحيم

"فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا{٦٨} ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا{٦٩} ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا{٧٠} وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا{٧١} ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا{٧٢}" مريم١٩

تعبير بصيغة الغائب عن المجرمين؛ ثم يتحول إلى صيغة المخاطَب فجأة بجملة قصيرة قاسية حصرية؛ لورودهم جهنم؛ لإثارة الرعب في نفوسهم، وأتبعها بحتمية وقوع ذلك، وفي النهاية أشاح عنهم فجأة مرة أخرى، وفي هذه الالتفاتات إرهاب للمجرمين وتحقير لهم.

هذا جانب من فن الحديث القرآني.

الفصل السادس

الدين والتاريخ

التاريخ وقصص الأحداث الماضية مفيدة لأخذ العبر والأمثال، ليستقيم الناس في سبيل موحد، فيه السلام والرفاهية والازدهار والتحضر والرقي، وعلى هذا فله خطره الشديد إذا ما أُهمل.

وسرد أحداث التاريخ هو عمل شريف ويجب أن يكون مبنيا على مبادئ قوية وتحت رقابة أمنية مشددة بسبب الخطورة التي ذكرتها سابقا، وأول هذه المبادئ هو عدم تزوير التاريخ باسم الفن أو باسم التجمل، ومبدأ آخر وهو أن يكون تقييم مصير الشعوب مرتبطا بأخلاقهم المرتبطة بالدين الذي يجب أن يتحلوا به.

وعلى أجهزة الرقابة أن تَسِمَ كلَّ الأعمال التي تذكر التاريخ بِسِمَةٍ واضحة تبين صدق أو كذب العمل دون رفضه.

الفصل السابع

الدين والمعاملات السياسية

مبادئ الإسلام في المعاملات السياسية:-

هذه المبادئ مستمدة من القرآن الكريم؛ سنة الله ورسوله، وهي تذكرة لمن قال بأنه يؤمن بالله واليوم الآخر بلا شرك.

هذا حتى لا يقع المؤمن فريسة للتخبط بين التصرفات المختلفة في أمور سياسية من شأنها وقوع الفتن والفساد ونحن نعلم أن الفتنة أشد من القتل، وقد نهى الله تعالى عنها نهيا مشددا، وكذلك فعل رسول الله له الشكر والثناء.

أليس الإسلامُ دينَ هداية؟

٣- **طاعة ولي الأمر من باطن طاعة الله** وعدم الخروج عليه.

هذا ما فعله رسول الله عندما بدأ الدعوة إلى وحدانية الله تعالى، في مجتمع وثني مشرك، حيث لم يصطدم مع أصحاب السلطة وكان يدعو سرا ثم جهرا بدون صدام منه.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**ۖ فَإِنْ **تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ** إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا{٥٩}"
النساء٤

والنزاع ليس اختلافا، فالنزاع يكون حول ملكية شيء أو سلطة، فإن حدث نزاع فيجب رده إلى الله أي الاحتكام إلى كتاب الله في حضور ولي الأمر وهو الرسول في وقت سلطته أو خليفته من بعده. أما الاختلاف فيكون حول فكرة أو عقيدة ومرده إلى كتاب الله أو يكون الحكم لله في الآخرة.

"وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ **وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ** وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْۗ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ{١٥٢}" آل عمران٣

٤- **أدب الحوار مع السلطة** عند إبداء رأي أو طلب حاجة.

"اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي{٤٢} اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ{٤٣} **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا** لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ{٤٤}" طه٢٠

٥- **الوَحْدَةُ أَوْلَى من الإصلاح**:-

"قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا{٩٢} أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي{٩٣} قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ **إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي{٩٤}" طه٢٠

٦- **في حالة ظلم ولي الأمر لفئة مؤمنة قليلة**،

عليهم أن يهاجروا، وإن لم يهاجروا فلا وَلاية لهم، ولهم أن يستنصروا بأهل مِلَّتهم أو أهلهم، وعلى ذويهم نُصْرتهم إلا إذا كان هناك ميثاق؛..

٧- **فالتزام العهود والمواثيق أَوْلى من النصرة**،

فليغادروا إذا فشلت المفاوضات لوقف الظلم وليس لهم أن يناوئوا وهم قلة ضعيفة، ولما تصبح قوتهم المتحدة ندا لقوة ظالميهم فلهم أن يستردوا حقوقهم، وغير ذلك فحكمهم حكم المنتحر.

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا **عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ** ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ{٧٢}" الأنفال٨

"وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا{٨٩} **إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ** أَوْ **جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ**

أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا{٩٠} سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا{٩١}"

النساء٤

"إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ[1] ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ{٤} وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ{٥} وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ{٦}" القصص٢٨

"إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا{٩٧} إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا{٩٨} فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا{٩٩} وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا{١٠٠}" النساء٤

٨- لا يجب أن يتولى كافرٌ سلطةً على المؤمنين الأغلبية إلا أن يحذروا منه:-

"لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ{٢٨}" آل عمران٣

[1] يثير حياءهن بالتحرش.

الخاتـمة

بسم الله الرحْمَٰنِ الرحيم

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ{١٩٠} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ{١٩١} رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ{١٩٢} رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ{١٩٣} رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ{١٩٤}" آل عمران٣

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

"لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ{٢٨٦}" البقرة٢

صدق الله العظيم

وصايا الله سبحانه وتعالى لبنى إسرائيل

في التوراة، كما ورد في القرآن في الآيات ١٥١-١٥٣ الأنعام٦

بسم الله الرحمن الرحيم

"قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** {١٥١} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** {١٥٢} وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** {١٥٣}" **الأنعام٦**

وصايا للتعقل

١- ألا تشركوا بالله شيئا.

٢- وبالوالدين إحسانا.

٣- ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، فالله يرزقكم وإياهم.

٤- ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

٥- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق.

وصايا للتذكر

٦- ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، حتى يبلغ أشده.

٧- وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

٨- وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى.

٩- وبعهد الله أوفوا.

وصايا للتقوى

١٠- اتبعوا صراط الله المستقيم، ولا تتبعوا السبل فتَفَرَّقَ بكم عن سبيله.

تم بحمد الله

◄المراجع►

إضافةً للقرآنِ الكريم

١-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم <محمد فؤاد عبد الباقي> دار ومطابع الشعب.

٢- الكون <د. كارل ساغان> ترجمة <نافع أيوب لبّس> سلسلة عالم المعرفة ١٧٨-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.

٣- الفتاوى <محمود شلتوت>، ط ١٢- ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م- دار الشروق.

٤- المعجم الوجيز "مجمع اللغة العربية" ١٤١٤هـ ١٩٩٣م- طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم.

٥- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة <موريس بوكاي> دار المعارف- مصر.

٦- القوة العظمى <باول ديفز> ترجمة <ميادة نزار>- كتاب علوم المترجم- ٦-١٩٨٩م- وزارة الثقافة والإعلام- دائرة الإعلام الداخلي.

٧- دع القلق وابدأ الحياة <ديل كارنيجي> ترجمة <عبد المنعم محمد الزيادي> ط١٥- مكتبة الخانجي- مصر.

٨-كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس <ديل كارنيجي> المكتبة الحديثة للطباعة والنشر- بيروت.

٩- لغز الحياة <مصطفى محمود>.

١٠- أصل الأنواع <تشارلز داروين>_ترجمة إسماعيل مظهر.

١١- التفسير الكبير <الفخر الرازي>.

١٢- تهافت الفلاسفة <الإمام الغزالي>.

١٣- تهافت التهافت <الإمام ابن رشد>.

١٤- خطوات الشيطان <محمد لبيب البوهي>.

١٥- الكتاب المقدس _كتب العهد القديم والعهد الجديد.

١٦- مجلة العلوم _الترجمة العربية لمجلة SCIENTIFIC AMERICAN_ التي تصدر في دولة الكويت شهريا عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

١٧- مجلة العربي العدد ٤٢١ ديسمبر ١٩٩٣م ص٩١ "الحضارة الإسلامية ونظريات الكون" دكتور <نضال قسوم>.

١٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور <جلال الدين السيوطي>.

١٩- مختصر تفسير ابن كثير دار القرآن الكريم، بيروت <محمد علي الصابوني>.

٢٠- المنهج العلمي للاعتقاد <شاكر عبد الجبار> مكتبة القدس بغداد.

٢١- النسبية الخاصة والعامة - <ألبرت آينشتاين>.

٢٢- الفلسفة -كتاب مدرسي.

======

للمراسلة

ص.ب ٧٤ بنها مصر

محمول ٠١٠٠٩٥٤٩٩١٩

Email sdmt16449@yahoo.com

سعيد عبدالمعطي حسين عبدالمعطي

للمزيد من التعرف على مقالات ومؤلفات الكاتب

ابحث عن اسمه على أداة البحث جوجل

المؤلف

من مواليد السبت١٦ أبريل ١٩٤٩م، نشأ لأسرة مثقفة متوسطة الحال، الأب كان صاحب مدرسة خاصة صغيرة هو مدرسها الوحيد، كان نشيطا جدا ويعمل كثيرا وصاحب فكر متحرر، تعلم منه عدم تقديس المرويات إلا ما اتفق مع القرآن الكريم، كان ذا شغف كبير بالتعرف على كل جديد، يحب تجربة الأشياء بنفسه.

يهوى الاختراع؛ وله مخترعات عديدة في تخصصه الفني، ففي عام ١٩٦٩ اخترع خلية حاسبة سباعية استخدمها في عمل جهاز حاسب للتقويم الميلادي.

درس علوم الهندسة الكهربائية وهندسة الراديو والإلكترونيات وعمل كمهندس تطبيقي في مجال الاتصالات والإلكترونيات، وعمل بالقوات المسلحة المصرية١٠ سنوات ثم عمل في مجال السياحة١٠ سنوات أخرى، ثم التحق بأكاديمية السادات للعلوم الإدارية جامعة القاهرة.

مارس مهنة التدريس الحر عدة سنوات؛ في مجال الرياضيات والعلوم واللغة العربية لطلبة المدارس الإعدادية؛ مساعدة لوالده، وعلوم الحاسب الآلي لطلبة الجامعات، ومناهج الحاسب الآلي باللغة الإنجليزية لطلبة التعليم المفتوح، وكذلك قام بتدريس الحاسب الآلي لأطفال صغار عن طريق الألعاب الإلكترونية.

بدأ دراسة القرآن الكريم منفردا عام ١٩٦٧م، ثم درس علوم الحديث ومصطلحه في عام١٩٩٠م وكل ما يتعلق بالأديان، وحاور الكثيرين من رجال الدين المختلفين، وناقش كل من صادفهم أثناء عمله في الخارج حول عاداتهم وأديانهم، وكان يقارن ما يسمع بما هو معلوم لديه في مجتمعه ودينه.

اطلع على أحدث ما وصل إليه العلم عن طريق المجلات العلمية مثل مجلة العلوم الكويتية وهي ترجمة مجلة العلوم الأمريكية **SCIENTIFIC AMERICAN**.

اطلع على العديد من المراجع العلمية واللغوية والفلسفية وعلوم ما وراء الطبيعة (الباراسيكولوجي).

تتبع أصحاب الظواهر غير الطبيعية للتعرف عمليا على واقعها.. مثل **العلاج الإيحائي**.. وربط هذا بما اطلع عليه من كتب في هذا المجال؛ محليا وعالميا، ومنها **ثني المعادن القاسية** بالنفخ أو الضغط الخفيف، **وتحريك الأشياء** وإخفائها، **وقراءة الأفكار** بوسطاء أو مباشرة مثل المندل، القوة الفائقة والحماية الفائقة لبعض الناس.

هذا الكتاب

١- يحتوي على أول منهج لفقه القرآن الكريم.

٢- يحتوي على علوم ونظريات جديدة:-

i) التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم.

ii) مبادئ الخلق التسعة.

iii) نظرية الترقي الشامل بالتنزيل.

٣- تقييم فلسفة الحرية.

٤- تقييم الفن.

٥- تقييم التاريخ.

٦- تقييم العمل السياسي.

٧- يحمل ضمنا تنبؤات بمستقبل الكون.

٨- يحمل في طياته مبادئ التشريع ضمن التعريفات الاشتراطية لتعبيرات القرآن الكريم، ومستويات التشريع طبقا لمستويات الطبقات الاجتماعية.